د. عبد الرحمن بن صالح العشماوي

عندما يئنُّ العفاف

شعر

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العشماوي، عبدالرحمن

عندما يئن العفاف ـ الرياض

١٤٢ص؛ ١٤×٢١ سم

ردمك: ٤ ـ ١٦٣ ـ ٤٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ الشعر العربي ـ السعودية أ ـ العنوان

ديوي ٨١١,٩٥٣١ ٢٣/٠٤٠٥

ردمك: ٤ ـ ١٦٣ ـ ٤٠ ـ ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٣/٠٤٠٥

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

توضيح

صدر للشاعر ديوانان سابقان في القاهرة

هما:

١ ـ عندما تشرق الشمس

٢ ـ من القدس إلى سراييفو.

وقد ضُمَّ الديونان مع بعض القصائد التي

اختارها الشاعر في هذا الديوان تحت عنوان

«عندما يئنُّ العفاف»

أوقِدْ شموعَك

أوقد شموعَك فالظلماء تتسكبُ
والشمس تُغمض عينيها وتحتجبُ
أوْقِدْ شموعك فالأوهام جاثمة
والقلب من غابة الأحزان يحتطبُ
أوقد شموعك في عصرٍ يُميِّزه
عن كل عصرٍ مضى التلفيق والكذبُ
أوقد فإنَّ دروبَ العصر غامضة
وقد أصاب عقولَ الأمة العطبُ
يا مسلمَ الخير، عين الكون حائرةٌ
وقد تمكن من وجدانه التَّعبُ
فاقرأ عليه كتابَ الله، داوِ به
جرح المريض الذي مازال ينتحبُ
وأَجْرِ نهرَ حديث المصطفى، فعلى
ضفافه الخُضْرِ، ينمو العلم والأدبُ
يا مسلم الخير أنت النَّبع في زمنٍ
جفت ينابيعُه وازدادت الكُرَبُ

الرياض - ٢٠/٨/١٤١١هـ .

صَبْراً دعاة الحق

لكم التحية من صميم فؤادي
يا رافعين لواءَ دين الهادي
يا من تصدون الضَّلالَ، فليلكم
ونهاركم في حسبةٍ وجهادِ
إني لأطرب حين أسمع داعياً
منكم إلى نهج الصلاح ينادي
لكم التحية كالزهور إذا سرى
منها الشذا، كمواسم الأعيادِ
يا هيئة الإرشاد وجهُك مُشرقٌ
والمكرُمات روائحٌ وغَوادي
أمرٌ بمعروفٍ، ونَهْيٌ صادقٌ
عن منكرٍ، وتحلُّلٍ، وفسادِ
أمرٌ بحُسْنَى للذين تلبَّسوا
بالذنب دون تطاولٍ وعنادِ

تاريخ هذه القصيدة ـ ٤/ ٧/ ١٤١٢هـ ـ الرياض ـ الازدهار .

أمـــا الذين تطاولوا وتحـــاملوا
فلهم من التـــأديب قَـــدْحُ زِنادِ
ياهيـئـةَ الإرشـاد كم من قـصَّـةٍ
مـكـذوبـهٍ رُويـتْ بـلا إسـنـادِ
قـالوا: روى المجـهـولُ عن أستـاذه
عن جـاهلٍ عن حـاضـرٍ عن بادي
لمّا بحـثْنا عن حـقـيـقـة مـاروا
نَطَق الحـديد بخَـيْـبـةِ الزرَّادِ
إني أقـول لمن يصـوغ حـديثَـه
ويُدير طَرْف الظالم المتـمـادي
أنسـيتَ مـا صنع الإله بمن طغـوا
أوَمـا ذكـرتَ مـصـيـرَ ذي الأوتادِ؟
أنسيتَ كيف تزعـزعتْ من أصلها
إرَمٌ، وكـانتْ قَـبْلُ ذاتَ عـمـادِ؟
يا من رسـمـتم للصَحـافـةِ لوحـةً
مـشـؤومـةً مـصـبـوغـةً بسـوادِ
وكـتـبـتم الحـرف اللئـيم تطاولاً
وسـقـيـتم الكلمـاتِ بالأحـقـادِ

إني أراكم تشـــربون كـــؤوسكم
وهمـــاً، وتقـــتـــاتون شـــرَّ الـزَّادِ
عـقـمتْ حـــروفكم الهـزيلة إنَّهـا
كـالسمِّ يسـري في لسـان الضَّـادِ
لغـةٌ مـهـجَّنةُ الحـروف رخـيـصـة
بدأت نهـــايتُـهـــا مع الميـــلادِ
هلاَّ كـتـبـتم عن تجـدُّد جـرحنا
في القـدس، أو عن حسـرة الأكـرادِ
هلاَّ كـتـيـتم عن سـجـونٍ لم تزلْ
تبكي دمـــاً من كـــثـــرة الـروَّادِ
سـمـعتْ أنين الأبرياءِ فـحـوقلتْ
مما رأتْ من قـــســـوة الجـــلاَّدِ
هلاّ كـتـبـتم عن صُـراخ يتـيـمـةٍ
وبـكـــاء أرمـــلـــةٍ عـــلـــى الأولادِ
يا لابسين الـليل تحت ثيـــابكم
ياناســـجين عـــبـــاءة الإلحـــادِ
يا فـاتحين البـاب للغـازي الذي
رفع الصليب عـلامـةَ اسـتـبـدادِ

يا راكبين الموج وهو يسوقكم
نحو الهلاك إلى منازلِ «عادِ»
ما كنتُ أحسب أن ذا عقلٍ، له
بَصَرٌ يضيق بهيئة الإرشادِ
ما كنت أحسبني سأسمع مسلماً
يَصف الدعاةَ بمنطق الإفسادِ
قالوا: لقد شبُّوا لنا نيرانهم
حقداً، فقلت مصيرها لرمادِ
قالوا لقد كثرتْ معالم كيدهم
فينا، فقلت مَآلُها لنفادِ
قالوا: لقد نصبوا الشباكَ، فقلت كم
أودتْ شِباكُ الغدرِ بالصَّيَّادِ
يا جَوْقةَ التطبيل، كم من ظالمٍ
أَلحقتَه بمواكب الرُّوَّادِ
صوَّرتِهِ للناس شهماً عادلاً
يسعى إلى الإحسان والإسعادِ
ومنحته في الحرب وصف قتيبةٍ
وابن الوليد، وطارق بن زيادِ

مـــالـي أراكِ قَلَبْتِ ظهـــر مـــجَنَّـهِ
وخلعتِ عنه عـــبـــاءةَ الأمـــجـــادِ
ومضيتِ في التطبيل تستجدين من
أشـــبـــاهـه ذا منحـــةٍ وأيادي
عجباً، أيبقى الزَّيف عندكِ منهجاً
تتـــقـــرَّبين به إلى الأوغـــادِ؟!

*****

يا هيـئـة الإرشـادِ يا نهـراً جـرى
في قـيظنا، يا فـــرقـــة الإنجـــادِ
كـثـرتْ مـشـارب قـومكم فـتـأمَّلوا
مـــا تصنعـــون بحكمـــةٍ وســـدادِ
أَوْلى بمثلكم الـتـــــثـــبُّتُ، إنَّه
طَبْعُ الدُّعـــاةِ ومنهج العُـــبَّـــادِ
صبراً فسوف ترون نصراً حاسماً
للحقِّ، صَـحْـواً بعـد طول رُقـادِ
قـــولوا لكلِّ فـــتىً يحـــارب دينَه
لا تَنْسَ أنَّ الله بالمرصـــــادِ

مساحةٌ للجرح بين عامين

يا عـامنا الهـجـريّ، طال مـسـائي
وأتيتُ أجـــري والهـــمـــومُ ورائي
تتـــعـــقَّب الآلام خَطْوي، أينمـــا
يَمَّـمْتُ، مـدَّتْ لي حـبـال شـقـاءِ
يا عامنا الهجري، جئتَ على اللَّظى
وبدأت رحلة حـــســـرةٍ وعـنـاءِ
لك منزلٌ في القلب رَحْبٌ أنت في
ســـاحـــاته من أكـــرم النُّزَلاءِ
لولا الجـراحُ، أقَـمْتُ في سـاحـاته
حـفـلاً، وصـغتُ قـصـائد الإطراءِ
ونشرتُ في الطرقات ظلَّ سعادتي
وقطعت مـا غـرسَتْ يَدُ البـأسـاءِ
لولا الجراح، جعلت وجهك مشرقاً
وغـرستُ في كـفـيك غُـصْنَ هناءِ
يا عـامنا الهـجـريَّ، جئت وللأسى
لغـــةٌ تَشُبُّ النار في الأحـــشـــاءِ

الرياض ٥/ ١/ ١٤١٢هـ .

انظر إلينا، سوف تبصر أمتي
تشقى بألف مكابرٍ ومُرائي
انظر إلى واحاتها وجبالها
سترى معالم بقعةٍ حمراءِ
ولسوف تبصر في البحار كآبةً
رُسِمَتْ بكفِّ البقعة السوداءِ
ولسوف تبصر في الفضاء مداخناً
سوداً، تبثُّ السُّمَّ في الأرجاءِ

*****

يا عامنا الهجري، عفواً لا تَسَلْ
عن عامرٍ، ومحمدٍ، وسناءِ
كبُرَتْ تلالُ الحزنِ في أعماقهم
وتعثروا باليُتْمِ والإعياءِ
لا، لا تَسَلْ عن ألفِ وجهٍ كالحٍ
لا، لا تَسَلْ عن مقلةٍ سحَّاءِ
عن ألف أرملةٍ وألف يتيمةٍ
عن ألف جائعةٍ بدون غذاءِ

عن ألف باكيةٍ تَخَبِّئُ وجهها
عن ألف عاريةٍ بدون كساءِ
لا، لا تَسَلْ عن ألفِ ألفِ منصِّرٍ
يتلوّنون تلوُّنَ الحرباءِ
شقيَتْ بهم «زاخو» (*) فكم نقشوا لها
صُلْبانَهم في كلِّ قُرصِ دَواءِ
يا عامنا الهجري، لا تنظرْ إلى
وجه الخليج وموطن الإسراءِ
«بغدادُ» جالسةٌ على جمر الغَضا
في مقلتيها نَظْرةُ استجداءِ
و«الشام» تنطق أحرفاً مهموسةً
في لجَّةِ التطبيل والضوضاءِ
و«الضَّفتان» على صفيحٍ ساخنٍ
لِلَهيبه أثرٌ على سيناءِ
أما «الجزائر» فالحقيقة لم تزلْ
فيها ملبَّسة بألفِ غطاءِ

(*) مدينة (زاخو) الكردية.

تسعى إلى الشرع الحكيم، فمالهم
رفعوا عليها راية استعداءِ
قالوا «الأصوليّون» قلنا: إنما
بالأصل تزكو حكمةُ الحكماءِ
قالوا لنا: «متطرِّفون» وما دروا
أن التطرف تُهْمةُ الجبناءِ
إني أقول لمن يُغَرُّ بنفسه
وبماله، ويعيش في استرخاءِ:
لغةُ الحياةِ، وإن فهمْنا لفظَها
مشحونةٌ بالرمزِ والإيحاءِ
لغةٌ وعاها الصادقون ولم يزلْ
في غفلةٍ عنها ذوو الخُيَلاءِ
يا من بذرْتَ الكيد في أرض الهوى
مهلاً فلن تجني سوى البغضاءِ
لن يُقنِعَ الناسَ الكذوبُ بقوله
ولو استغاث بواصلِ بن عطاءِ!
ولو استعار لسانَ كلِّ مفوَّهٍ
ولو استغاث بصاحب «البتراءِ»!

تلقى الأكاذيبُ البَوارَ وتنتهي
بالموت عند بصائر العقلاءِ
يبقى الثَّرى، مهما استطالَ هو الثَّرى
وإن ادَّعى شرفاً على الجوزاءِ
ولَرُبَّ نصرٍ في الحياةِ هزيمةٌ
تُزري بكلِّ هزيمةٍ نكراءِ

*****

يا عامنا الهجري، أمتُنا بها
جَرَبٌ يُحَكُّ بأرجلِ الغرباءِ
أما أظافرها، فقد أبصرتُها
مقلومةً مطليَّةً بطِلاءِ
يا عامنا الهجري، أمتنا لها
رجلان أُلْبِسَتَا بنصفِ حذاءِ
وبها عَمَى الألوانِ حتى أصبحتْ
في عُرفِهَا السوداءُ كالبيضاءِ
هي أيُّها العام الجديد قصيدةٌ
عربيةٌ مخنوقةُ الأصداءِ

هي قـصـــةٌ عـربيـــةٌ مكتـوبةٌ
في دفـــتـــري بمدافعٍ ودمـــاءِ
تتـشـابه الأسـمـاء بين رجـالهـا
والحقُّ فـوق تشـابُهِ الأسـمـاءِ
مـازلت أقـرأ وجـهـهـا فـيسـوؤني
مـا فـيـه من ذلٍ ومن إغـضـاءِ
يا عـامنا الهـجـري إني لم أزل
أقـضي على يأسي بصـدق رجـائي
أنا إن سكتُّ فـربَّ صـمتٍ هادفٍ
أجـــدى لنا من منطق البلغـــاءِ
أنا أيهـا العـام الجـديد مـسـافـرٌ
في الحـزن أبحث عن بقـاع صَـفـاءِ
وأظل أُوغِلُ في مـتـاهـات الدُّجى
سـهـراً، أفتِّش عن خـيـوط ضيـاءِ
إني لأُبصـر كيف يحـتـرف الدُّجى
إذلالَ شـمس غـروبنا الصـفـراءِ
ويسـوقني السـهـر الطويل أمـامـه
لأرى الظلام يسـيـر في اسـتـعـلاءِ

حـتـى إذا مـا خِلْتُ أنَّ مـشـاعـري

ضـاقت، وأني قـد سـئـمت بكائي

كُشِف الغطاءُ فـلا تسلْ عن ريشـةٍ

للفـجـر ترسم لوحـة الأضـواءِ

وعن انتصـار الشمس بعـد هزيمةٍ

وعن انحـسـار مـواكب الظلمـاءِ

*****

يا عـامنا الهـجـريَّ، إنْ وافَـيْـتنا

فلقـد مـضى عـامٌ من الأعـبـاء

مـازال بينكمـا مـسـاحـةُ حسـرةٍ

فـيـهـا وقـفتُ، لكي أبثَّ ندائي

يا عـامنا الماضي شَـهِدْتَ جراحنا

ورأيتَ مـا صنعت يَدُ العُـمَـلاءِ

ورأيت أغـصـان الشـمـوخ ذوابلاً

لم تَلْقَ في البـيـداءِ شَـرْبَةَ مـاءِ

ورأيت أمـتنا تمـزق ثوبهـا

وتسـيـر ذاهلة بغـيـر رداءِ

هـي أمــة مــسكونة بجــراحــهــا
تشكو الظمـا كالعيس في البيـداءِ!
يا عــامنـا الماضي.. عــرفتَ قلوبَنا
وعــرفت مــا فــيــهــا من الأهـواءِ
وشَــمَــمْتَ رائحــة الخــيــانةِ بيننا
ورأيتَ وجـــهَ عـــروبةٍ شـــوهـاءِ
حــدِّثْ بهــا العــام الجـديد فـربما
وصف الطبـــيبُ لنـا مكان الدَّاءِ
قــد يفـتح التـاريخ فـينـا صـفـحـةً
بيـضـاءَ، بعـد الصـفـحـةِ السـوداءِ
إني لأرجــو أن أصــوغ قــصــائدي
فـي نَصْـــرِ هذي الأمـــةِ الغـــرَّاءِ

*****

عندما يتساءل المجد

نشـــــدو، ولكـن صُـــمّت الآذان
وتشـــاغلت عن شـــدونا الأذهـانُ
تبكي خـواطرنا فنكتب دمـعـهـا
شـــعـــراً، له في النـابضـــات مكانُ
هذا قطار المجـــد، لا عـــرباتُه
ســارت، ولا صُنعت له قُـضـبـانُ
يا مَنْ تبـادلني الشـعـور بحـالنا
وللحن شـعـري عندها اسـتـحسـانُ
قلبي تؤجّـــجـــه الجـــراحُ كـأنَّه
قِـــدْر تأجّج تحـــتـــهـــا النيـــرانُ
لو أن هـذا الكون أصـبـح قـبـضـة
ولهـــا من التـــشكيك فـــيك بنـانُ
مـا سـاء ظني فيك يا من نفسُـهـا
نفـــسي، وطول حنينهـــا بُرهـانُ
بيني وبينكِ جـمـــرة مـشـبـوبة
وكـتـيـبـة من لهـفـتي ودُخـانُ

الرياض- ٢٨/ ١٠/ ١٤٠٧هـ .

بيني وبينك قـصـــةٌ مكتـوبةٌ
ودفـاترٌ صـفـحـاتهـا تزدانُ
بيني وبينك لهـفـة من شـاعـرٍ
وقـصـيـدةٌ سـارت بهـا الركـبـانُ
بيني وبينك منبع من مـــائه
خلعتْ رداءَ جـفـافـهـا الأغـصـانُ
بيني وبينك لوحـة مـرسـومـة
من حـــبنا وفـــؤاديَ الفنّانُ
لا تعـذلي بركـان حـزني إنما
يُفـضي بما في صـدره البـركـانُ
قـالوا بأنك قـد نسيت قصـائدي
عـجـبـاً أينسى نبـضَـه الوجـدانُ
كم يبـدأ الليل الطويل وينتـهي
وأنا، تهـزُّ سـريريَ الأحـزانُ
من أين أبتـدئ الطريق، مـراكـبي
حـيـرى، وقلب دليلهـا حَـيـرانُ
ورحلتُ، في كـفّي يراعٌ ناطقٌ
وبكف حـزني صـارمٌ وسنانُ

والرمل يبسط للّهيب خوانَه
والقيظ نارٌ، والسرابُ دخانُ
وسؤالِك الملهوف يكتبني على
باب الأسى وبوجهه استهجانُ
لا تسألي عمّا تكابد أمتي
فالعقل غافٍ، والهوى يقظانُ
بيتٌ تدانى سقفه من أرضه
وتقوّسَتْ من حوله الجدرانُ
جبلٌ ترجَّلَ عن جواد شموخه
فتطاولت من حوله الكثبانُ
قَوْمي وراء جدار ليلٍ حالكٍ
وقفوا، وفي نظراتهم إذعانُ
دفنوا جنون الثأر في أعماقهم
وعلى الوجوه مذلّةٌ وهوانُ
هذا هو الأقصى يعلّل نفسه
بالأمنياتِ، وهذه لبنانُ
ويد العراق على الزّناد تجمّدت
وتجمّدت في وجهها إيرانُ

عـربٌ وفـرسٌ والعـقـيـدة لم تزل
جـســراً، ولكن مـا له عُـمـدانُ
فِـرقٌ مـوزّعـةُ الهـوى، ومـبـادئٌ
شـــتى، ويـرفع رأسَـــه كـــاهـانُ
والمجـــدُ يرنو للوجـــود بمقلةٍ
تهـمي، فـيـمـسح دمـعَـه الأفـغـانُ
ركـبـوا جـيـاد يقـينهم، فـقلوبهم
فـيـهـا على درب الهـدى اطمـئنانُ
باتوا وفـوق صـدورهـم أكـفـانهم
وعلى صـــدور المتـــرفين قـيـــانُ
ومـضـوا وفـوق أكـفـهم أرواحـهم
وعـلـى أكفّ الـعـــــابثين دِنـانُ
والمعـتـدون سـمـومـهم فـتّـاكـةٌ
ولسـانُ أصـدق قـومـهم ثعـبـانُ
تشكو بخارى مـا رأت من حقـدهم
فـتـجـيـبـهـا بالدمع تركـسـتـانُ

*****

يا إخـوتي مـيـزان قـومي جـائرٌ
فـمـتى يقـوِّم نفـسَـه الميـزانُ؟
بحـر الحـيـاة تلاطمت أمـواجُـه
فـمـتى تصـون رمـالهـا الشطآنُ؟
نسـعى ويطردنا الشـقـاقُ، كـأنه
ذئبٌ، ونحن أمـامـه قطعـانُ
لا «ذو الفقار» لنا ولا «صمْصامة»
فـينا، ولا خـيلٌ ولا فـرسـانُ
أومـا ترون سـيـوفنا من باقلٍ أعـيـا
وسـيفُ عـدوّنا سـحـبـانُ؟

*****

قف يا زمان على مشارف صمتنا
فـالصـمتُ في بعض الأمـور بيـانُ
كـانت لنا في كل أرض قـصـةٌ
تُـروى وفـي تـاريـخـنـا بـرهـانُ
فـكـأنَّ هـذا الـكـون قـلـبٌ نـابـضٌ
وكـأننا فـي قلبـه شـريـانُ

تطوي شـراعَ الليلِ كفٌّ ضـيـائنا
وبنا وجـــوه المكرمـــات تُصـــانُ
كنّا نـدين الـظـلـم بـين دعـــــاتـه
واليـــــومَ يُسْلَبُ حـــقُّنا ونُدانُ
وعلى لســان المجـد ألفُ تسـاؤلٍ
مـــرٍّ، وفي أحـــشـــائه غَلَيـــانُ
أوَكـــان يرفع رأســـه مـــتطاولٌ
لو ظلَّ يحكم أمـــتي القـــرآنُ؟
أوَكان يغدو الشـعـر محض خرافةٍ
لو ظلّ ينشـدُ شـعـره حـسّـانُ؟

*****

خارت قوى صمتي، فلست بساكتٍ
عن أمـةٍ من طبـعـهـا العـصـيـانُ
لولا العـقـيـدة مـا ارتوى من نصـره
سـعـدٌ، ولا نَشَـر الهـدى النعـمـانُ
لولا العـقـيـدة مـاتراخى رسـتمٌ
خـوفـاً، وفـرّق جـيـشـه خـاقـانُ

يا صرح أمتنا ستبقى شامخاً
مهما تداعت حولك الكثبانُ
ها نحن يا صرح الفخار قلوبنا
بصفائها ويقينها تزدانُ
مَنْ كان في أدب السقوط غرامه
فغرامنا الأنفالُ والفرقانُ
أوَ كان فكر الملحدين دليله
فدليلنا في دربنا الإيمانُ
نسعى إلى لمِّ الشتات فإنْ أبى
قومي فكلُّ مكابرٍ شيطانُ
فجر الحقيقة مشرقٌ ما ضرّه
ألا يشاهد نوره العميانُ!

*****

وقفةٌ على أبواب مدريد

عذراً رُبى المجد، إنَّ القومَ قد هانوا
وإنهم في أيادي المعـــتـــدي لانوا
عـذراً فـمـا ردَّهم عـمَّـا يحُـاك لهم
وعـيٌ، ولا ردَّهـم ديـنٌ وقـــــرآنُ
عـذراً فـأروقـة الأحـزان حـافلةٌ
وسـاحـة الفـرح المقـتـول قـيـعـانُ
عـذراً فـبـحـر المآسي لم يـزلْ لجبـاً
يموج في مـائه قـرشٌ وحـيـتـانُ
عـذراً فـإنَّ بلاد العـرب لاهيـةٌ
تضجُّ في صـدرها عـبسٌ وذبيـانُ
أمـا ترين روابي الشـعـر هامـدةً
فـمـالهـا اليـوم أوراقٌ وأغـصـانُ
قـصـيـدتي ذَبُلتْ ممّا يداهمـهـا
من الجفاف، وطرف الشعر سهرانُ
تتكّبـتْها غيـومُ اللحن، ما ابتـهـجتْ
خصباً، ولا استبشرت بالغيث أفنانُ

الرياض: الازدهار ٤/ ٧/ ١٤١٢هـ .

ولوحة الصمت، فيها ألفُ دائرةٍ
مرسومة، مالها في الفنِّ ميزانُ
ما لا مستها يدٌ بالرسم ماهرةٌ
ولا سقاها شرابَ الحبر فنَّانُ
رأيتُ فيها خطوطاً لا حدودَ لها
وليس يفهمها إنْسٌ ولا جَانُ
رأيت في بعضها رأساً أشبِّهه
بحيّةٍ، شدَّها للخلف ثعبانُ
رأيتُ غصناً من الزيتون تأكله
رصاصةٌ، ووراءَ الغصن «كاهانُ»
من حوله أحرفٌ عِبْريّةٌ نُقِشت
وليس فيها عن الألغاز تبيانُ
كان الغبارُ يواريها، وحين جلا
بدا لعينيَّ شاميرٌ و «ديَّانُ»
ولاح لي في مداها وجهُ أندلسٍ
جبينُه لسباق الحزنِ ميدانُ
يا وجهَ أندلسٍ، في أفقنا سحبٌ
من الدخان، وفي الأدغال بركانُ

طارت إليك وفود العرب، في فمها
بوقٌ، وبين يديهـــا الطبلُ رنَّانُ!
شاميرُ يسخر منهم، من تطلعهم
إلى الســراب، ألا فَلْيَـرْوَ ظمــآنُ
لو أبصرتهم عيون الداخل امتلأتْ
قذىً، وأغضتْ على الأشواك أجفانُ
ولو رأى طارقٌ تلك الوجـوهَ، لَمَـا
عصاه سيفٌ، ولا عاقتْه أكفانُ
كـأننّي بقـلاع المجـد قـد وجـمتْ
لمَّا أتاها بروح الذلِّ «عُـــربانُ»!
يابؤسَها أمـة يسعى بحاجتها
لصٌّ، وبائعُ أفـيـون، وسـجَّـانُ!
تُدعى إلى الملتقى باسم السلام، ولم
يُرفع لهـا بين أهل الملتـقى شـانُ
يُقـام حـفلٌ لهـا من حُـرِّ ثروتها
ولم يُقدَّم لها في الحفل فنجانُ
يا بؤسها أمةً، في الحرب خاسرةٌ
ولا يفارقـها في السلم خُـسرانُ

إن حاربتْ شربتْ كأس الهزيمة في
ذلٍّ، وإن فـــاوضت فـــالذلُّ ألوانُ
أنَّى تقـوم لهـا في الكون قـائمـة
وقلبُـهـا غـارقٌ في الوهم حـيـرانُ
يا من رحلتم إلى مـدريدَ، قـربتُكم
مـخـروقـةٌ، وجِـرَابُ الخـصم مـلآنُ
بشـراكم اليـومَ، إسـرائيل راضيـة
عنكم، وفي قلبـهـا شكرٌ وعـرفـانُ
بشـراكم اليـوم، أمـريكا تبـجِّلكم
وفي يدَي روســيـــا فلٌّ وريحـــانُ
أمـا فلسطينُ، والأقـصى، وأمـتُكم
فـمـــالهـــا عندكم قَـدرٌ ولا شـــانُ
يا من رحلتم إلى مـدريد، أمـتكم
بـريئـــةٌ، وادّعـــاءُ السِّلم بُهـــتـــانُ
القـــدس أكـــرم عند الله منزلةً
من أنْ يطهِّـرها لهـوٌ وعـصـيـانُ
القـــدس أعظم عند الله منـزلةً
من أن يخلِّصِـــهـــا ذلٌّ وإذعـــانُ

سـلامُ أعـدائكم، حـربٌ مـعلَّبـةٌ
في عُلْبَـةِ الوهم، والبـرهـانُ لبنانُ
لو كـان شـامـيـرُ إنسـاناً لضلَّلكم
فكيف، وهو على التحقيق شيطانُ
إنا ننادي، وللتـاريخ حَـمْـحَـمَـةٌ
من حولنا، وفؤاد المجد غضبـانُ
يا مجلس الذلِّ في مدريدَ لا نظرتْ
عينٌ، ولا سـمـعت دعـواكَ آذانُ
لنا طريقٌ إلى العليـاء نعـرفـه
يشدو به حجرٌ في القدس صَوَّانُ
يشـدو به الطفل لحناً لا يقـاومـه
صوت الرصاص، ولا تُخفيه حيطانُ
يا مجلس الذلِّ في مدريد منهجُنا
قد صاغه في رُبى باميرَ أفغـانُ
طريقنا واضحٌ كـالشَّمس، تعـرفـه
أجـيـالنا، بابُه عـزمٌ وإيمانُ
وَلِيُّـنـا الـلـه لا نـرضـى بـه بـدلاً
وكيف ييـأس مَنْ مـولاه رحـمـانُ؟!

حِوارٌ أمام بوَّابة الهزيمة

طابَ المكانُ وطاب فيه مقامُ
وتفتَّقَتْ عن زهرها الأكمامُ
وجرتْ سواقي الحبِّ يَنْبُتُ حولهَا
نَخْلٌ، وترتع حولهَا الأغنامُ
والشمس تعزِف للروابي نورَها
فيذوبُ ظِلٌّ تحتها وغمامُ
والأرض تَروي بالنبات حكايةً
خضراءَ، يكبُر عندها الإلهامُ
صورٌ من الأحلام تُثلج خاطري
ولقد تَسُرُّ العاشقَ الأحلامُ
صورٌ رسمتُ أمام قلبي لوحةً
منها لعل جراحَه تلتامُ
صورٌ، وتنسفها وقائع أمتي
نسفاً، ويبتلع المكانَ ظلامُ
وعلى رصيف الليل طفلٌ واجمٌ
نظراتُه نَحْوَ القلوب سهامُ

الرياض - الازدهار - ١٦/ ٥/ ١٤١٢هـ .

وسـؤاله الملهـوف يحـرق مـهـجـتي
أوَ ليس ديني يا أبي الإســـلامُ؟!
أو ليس منهجَ أمـــتي قـــرآنهـــا
فـبـه لهـا في العـالَمين مـقـامُ؟!
أو ليس قـدوتَنا الرسـولُ مـحـمَّـدٌ
تُهـدى إليـه صـلاتُنا وسـلامُ؟!

*****

أوَمـــا لنا في المجُـدِ أَلْفُ حكايةٍ
تَعـبتْ على تدوينهـا الأقـلامُ؟!
أو مَـا جـرتْ أنهـارُنا رَقْـرَاقـةً
بالخـيـر، تُرفَعُ فـوقـهـا الأَعـلامُ؟!
أو مَـا لدينا النَّبْعُ يصـفـو مـاؤه
وعليـه من شـغف القلوب زحـامُ؟!
أو لم نكُنْ جـسـرَ النجـاة لعـالمٍ
يشـقى به الضـعـفـاءُ والأيتـامُ؟!
أو لم تَصُغْ بَدْرٌ بداية مـجـدنا
لمَّا تهـــاوتْ عندها الأرقـــامُ؟!

أَلْفٌ تقـــابلُ ثُلْثَ ألف إنَّهـــا
لأدلَّـةٌ لـلـواهـمـين تُـقَـــــامُ

أوَ لم يقم بالفـتح صـرحُ عـقـيـدةٍ
في صـــدرها للمكرمـاتِ وسـامُ؟!

أوَ ما سرى في الكون صوتُ بلالنا
وعلى صـــداه تهـــاوت الأصنامُ؟!

أوَ لم تكن ذاتُ الســـلاسل لوحـــةً
مـــرســـومـــةً، وإباؤنا الرسَّـــامُ؟!

أوَ ما رأى اليرموك كيف استبشرتْ
ببـــزوغ فـــجـــر المسلمين الشَّـــامُ؟!

أوَ لم تكن للقـــادســـيـــة قـــصـــةٌ
أدْلى بوصف شموخها الصَّمصامُ؟!

أوَ لم نعلِّق في المدائن شـــمـــعـــةً
بيـضـــاءَ فـرَّ أمـــامَـــهـــا الإظلامُ؟!

أوَ لم نلقِّنْ قـيـصـــراً وحـشـــودَه
درســاً تحـــار أمـــامَـــه الأفـــهـــامُ؟!

أوَ لم نَدَعْ كـســـــرى، على إيوانه
يـبـكـي، وتـأكـل صـــــدره الآلامُ؟!

أوَ لم يسلِّمْ جـــاذَوَيْهِ ســـلاحَـــه
فَـــرَقـــاً، ويندب حظَّه بهـــرامُ؟!
أوَ لم تَخُضْ بحـرَ البطولة خـيلُنا
وبقلبِ أندلسٍ لـهـــــا إعـظامُ؟!
أوَ لم تقلْ للصِّين خـيل قـتـيـبـة
جـئنا يزفُّ صـهـيلَنا الإقـدامُ؟!
أوَ لم تصُغْ حطَينُ لحناً خـــالداً
تهـفـو إلى أنغـامـه الأنغـامُ؟!
أوَ لم تكن في عين جـــالوتٍ لنا
هِمَمٌ لردع المعـــتـــدين عِظامُ؟
أَوَ هكذا ننسى المفـاخـرَ، مـثلمـا
يُنسي الصغيرَ هوى الرِّضاعِ فِطَامُ؟!
أوَ هكذا أبتـــاه تسكر أمـــتي
سُكراً يقـدِّم كـأسَـه الإعـلامُ؟!
أوَ هكذا تطوى عـــزائمَ جـيلنا
قـصصٌ تصوِّر فُحْشَـها الأفـلامُ؟!
قل لي ـ أبي ـ أنظلُ نأكل خـبـزَنا
وعليـــه من دمنا المُراقِ «إدامُ»؟!

قل لي ـ أبي أنظلُّ نشرب ماءَنَا
والقدسُ يُهْتَك عرضُها وتُضامُ؟!
قل لي ـ أبي ـ أَيبيتُ طفلٌ ساهراً
في كفه حجرٌ، ونحن ننامُ؟!
وَرِمَتْ عيونُ المخبرين وراءَه
وعلى شفاه الصامتين خِطَامُ
سكتوا لأنّ السيف مسلولٌ إذا
نطقوا بما لا يرغب الأَقزامُ
أوَما لنا أبتاه عَزمٌ صادقٌ
أوَليس بين صفوفنا مقدامُ؟
أوَما لنا في السِّلم نَهْجٌ واضحٌ
أوَما لنا وقتَ الحروب حُسامُ؟!
أَوما لنا في عالم اليوم الذي
يجري طريقٌ واضحٌ ونظامُ؟!
أبتاه، هذا بيتُنا قد هُدِّمتْ
جدرانُه، وأمامنا الهدَّامُ
أبتاه هذا جسمُ أمتنا سرى
فيه اللظى واستشرتِ الأورامُ

أبتـــاه هذا دربُ أمـــتنا شكى
فـيـه الثـرى مـا تصنع الألغـامُ
قلْ لي أبي أنظلُّ نَعْلُكُ صـمـتَنا
وعلى الأنوفِ مـــذلَّةٌ ورَغـــامُ؟!
أنظلُّ نخـــفض للصليب رؤوسَنا
وينام فـوق فـراشنا الحـاخـامُ؟!
أوَهـكذا أبتـــاه ننسى ديننا
ويزيحنا عن مـجدنا استـسلامُ؟!
كـان الأبُ المسكين يحـبس دمـعَه
ولحـــزنه بين الضلوع ضِـــرَامُ
أَبُنيَّ لا تنطقْ فـقـد ألجـمـتَني
أوَّاه كم يـؤذي الـكـريمَ لجـــامُ
هذي هي الأمـراض قـد فتكتْ بنا
فـي عـصـــرنا، ودواؤُها الإســلامُ

*****

أنادي أمتي

لك الأرض الفسيحةُ والفضاءُ
فكيف يتيه عن فمك النداءُ؟
وكيف تخاف ظلماءَ المآسي
وعندك أَلفُ قنديلٍ تُضاءُ؟
وكيف تَهاب من زيدٍ وعمرو
وعند الله رزقُك والقضاءُ؟
تصبَّرْ أيُّها القلبُ المعنَّى
فقد أجرى مراكبَه العَناءُ
وهزَّ البحرُ منكبه اختيالاً
وثار الموج وانحصر الرِّداءُ
وأغمضت الشواطئ مقلتيها
فما فيها بزائرها احتفاءُ
ترى غيماً وتسمع صوتَ رعدٍ
فما يُدريك أنَّ الغيثَ ماءُ؟!
وتبصر في طريقك أَلْفَ قصرٍ
فهل أدركتَ ما سَتَرَ البناءُ؟!

الرياض - ١٤١١هـ .

ستكشف بعضَ ما تخفي قلوبٌ
وينضح بالذي فيه الإناءُ
أقول لأمتي: حجمُ الدَّعاوى
كبيرٌ والحقيقةُ مومياءُ
أنادي أمتي، هذا كثيرٌ
عليكِ، فهل سيوقظها النداءُ؟!
تتيه بعلمها أممٌ حيارى
وأمتنا يخدِّرها الغناءُ
تردِّد صوت «فيروز» وتشدو
كما تشدو، فبئس البَّغاءُ!
لأمتنا على الذلِّ انفتاحٌ
وفيها عن بطولتنا انطواءُ
تَسيح إلى بلاد الكفر صيفاً
ويتعب من مدافئها الشِّتاءُ
تنام على السرير ولا تبالي
فلا تعجبْ، إذا عَمَّ البلاءُ
ولا تعجبْ إذا ظُلم اليتامى
ولا تعجبْ إذا انكشف الغطاءُ

إذا أرخـصْتَ نفـسك عند قـوم

فـلا تغـضبْ عليـهم إنْ أسـاؤوا

كـثـيـرٌ إن عَـدَدْت رجـال قـومي

ولكن .. هل سـينفـعنا الغُـثـاءُ؟!

رجـالٌ تائهـون فـلا تسلْني

لماذا اسـترجلت فـينا النسـاءُ؟!

عـجـبت لمن بأيديهم شـمـوعٌ

فما قدحوا الزنادَ ولا استضاؤوا

أقـول لأمـتي: لا تسـتكيني

فـقـد حـسـر اللثـامَ الأدعـيـاءُ

أقـول لأمـتي: هذا زمـانٌ

ينال القـصـدَ فـيـه الأقـوياءُ

روائح خـيـبـة الآمـال فـاحتْ

ولكن، كيف تصحـو الخنفسـاء؟

نبـيتُ على مـوائدنا وننسى

بلاداً مـا لجـائعـهـا غِـذاءُ

ونرفل في مـلابسنا وننسى

عُـراةً عـز عندهم الكسـاءُ

وفي القدس السليب يُباع طفلٌ
وتُهدَر في رُبى الأقصى الدماءُ
وفي كابولَ تُمتَهَنُ اليتامى
وفي لبنان ينتشر الوباءُ
وفي أفريقيا السوداءِ جوعٌ
وتنصيرٌ، وقهرٌ، واعتداءُ
وها نحن انتبهنا في صباحٍ
رمادِيٍّ يخالطه الشقاءُ
فأبصرنا (الكويت) على رصيفٍ
وليس لها من الباغي وِقاءُ
تنابحت الكلاب، فلا تسلني
لماذا طاب للأُسْدِ الثواءُ
تداعت نحونا أُمَمٌ عِطاشٌ
وفي نظَراتِ قادتها ازدراءُ
فقل لي، كيف يُجبَر كَسْرُ قومي
وقل لي: كيف يحيا الأتقياءُ؟
شُغلنا بالكلام وبالدعاوى
وأشغَلَنا عن الحقِّ المِرَاءُ

وكم عـملٍ جـمـيلٍ مـسـتطابٍ
يضـيِّع أجـر صـاحـبـه الرِّياءُ
أشـــدُّ عـــيـــوبنا أنَّا إذا مـــا
نُصـِحْنا خـــدَّرتْنا الكبـــرياءُ
بنا داءُ التـــخـــاذُل والتَّـــجـــافي
وفي قـــرآننا الهـــادي الشِّـــفـــاءُ

*****

ولكنّكم غائبون

جنونٌ .. تقولون: هذا جنونْ
ولكنكم أنتم الواهمونْ
أقول لكم أيها الغافلونْ
أقول لكم:
إنَّ ضوءَ النجوم تدحرج في عتمة الليلِ..
حين هوى في محيط الغَسَقْ
أقول لكم:
إنَّ ناصيَةَ البدر جُزَّتْ فكان الأَرَقْ
وإني رأيت الصباح انفلَقْ
فكان الشفَقَ
وأبصرتُ نَهْر الضياءِ جرى في السُّهولْ
وأصغيت، حين سمعتُ النَّهار يقولْ
وهرولتُ حين قرأتُ على مدخل الفجرِ:
«أهلاً بمن رغبوا في الدخولْ»
ولما وصلتُ..
توقَّفتُ حين رأيت من الباب قائدَ جيش المغولْ

الرياض ـ الازدهار - ٥/ ٩/ ١٤١٢هـ .

لماذا توقَّفْتُ حين وصلتُ
لماذا بكيت؟
لماذا اكتويتْ؟
سأخبركم عن معاناة صَبٍّ رأى الفجر واجهةً
خَلْفَها قُبَّةٌ من ظلامْ
وأبصر خلف الظلام ظلاماً
وخلف الرُّكام الرُّكامْ
وأدَّى السلامْ
ولكنَّ قائدَ جيش المغول أماط اللثامْ
وقام إليه .. وحرَّك رشَّاشه حين قامْ
وقال: عليك الرَّصاصُ عليك الخصامْ
سأخبركم بالذي كاد يسلب عقلي ..
ويسجنني في كهوف الظنونْ
ويغرقني في محيط الجنونْ
تبيَّن أن الذي كنتُ أحسبُه قائداً للمغولْ
وكنت أقولْ
وأحلف أني أعي ما أقولْ
تبيَّن لي أنَّه قائد الروم يحمل سيف الصليبْ
وأبصرت وجهاً يُطِلُّ..

ووجهاً يغيبْ
وعلَّمني الهَمُّ ما تجهلونْ
رأيتُ الملاحم، أبصرتُ ذاتَ القرونْ
لقد ضحكَ الحقُّ لي أيها العابسونْ
فياليتكم تفهمونْ
تموت سنونٌ وتحيا سنونْ
وأنتم بأثواب أوهامكم ترفلونْ
حضورٌ بأجسادكم في المحافِلِ ..
يا مسلمونْ
حضورٌ بأجسادكم أيُّها المسلمونْ
ولكنكم غائبونْ
إذا أُلْقِيَتْ خطبةٌ تضحكونْ
وإنْ أُلْقِيَتْ «نكتةٌ» تضحكونْ
وإن صفعتكم يدُ المعتدي
تضحكونْ!
وتبكي الكرامةُ يبكي الإباءْ
وينفلق الصَّخْرُ تنفعل المومياءْ
وأنتم على حالكم تضحكونْ
فإنا إلى ربنا راجعونْ!

صرخةٌ من أحفاد صلاح الدين

«أين الأحبة ؟

.. سؤال حزين ينطق به الشعب الكردي الجريح»...

أنا بينكم شـــعبٌ دمي مطلولُ
أصغي وألسنة الرَّصاصِ تقولُ
أنا بينكم، أُصلى بنار قـــذائفٍ
وتُصاغ قصّةُ حسرتي، وتطولُ
أنا بينكم، شعبٌ يُقسَّمُ جهرةً
والشمس في كَبِد السماء تجولُ
شعبٌ يُغذَّى بالأسى أطفالُه
ويُشرَّدون وللنساءِ عَويلُ
أنا بينكم يا مسلمون، سعادتي
نُقِضَتْ، وحَبْلُ تعاستي مفتولُ
هذي الجراح، أمَا تُحرِّك ساكنا
فيكم، أمَا للغافلين عقولُ؟
مازلتُ أحزم للجهاد حقائبي
لكنني عن ساحتي معزولُ

الرياض - الازدهار - ١٦/٦/١٤١٢هـ .

أوَمـا ترون القـومَ يدفع بعـضُـهم
بعـضـاً إليَّ، فـقـاتلٌ وقـتـيلُ؟
خـانوا صـلاح الدين في أحـفـاده
فـأعـزُّهم للغـاصـبين عـمـيلُ
أوَّاه لو أبصـــــرتم الطفل الذي
أمـسى، وهيكلُ عظمِـه مـشلولُ
أوَّاه لـو أبـصـــــــرتم الأمَّ الـتـي
مـاتت، ولا كَـفَنٌ ولا تغـسـيلُ
هذا فـتًى بالأمس هاجـر خـائفـاً
مـتـرقِّـبـاً، والإسمُ إسـمـاعـيلُ
من أسـرةٍ مـعـروفـةٍ بصـلاحـهـا
مـا شـابهـا زَيْفٌ ولا تضليلُ
خرجوا من البيت القديم، أمامهم
دربٌ من القـصـف العنيف طويلُ
رحلوا من البـيت المهـدَّم خـمـسـةً
والجـوع قـاسٍ، والطعـام قليلُ
وصلو إلى «زاخـو» بغـيـر أبٍ ولا
أمٍّ، فلم يَشْفِ القلوبَ وصـــولُ

وصلوا وقد نقصوا وشُتِّت شملُهم

وأصابهم بعد الصعودِ نزولُ

وصلوا وأعينهم سؤالٌ دامعٌ

لو كان يدرك ما جرى المسؤولُ

أين الأحبَّة؟ يا صخورُ تحدَّثي

هل من أخ يمحو الأسى ويُزيلُ ؟!

أين الأحبَّة، واستجاب منصِّرٌ

لندائنا، في كفِّه الإنجيلُ!

«هابيلُ» يرسم لوحةً من جرحه

فمتى ينال جزاءَه «قابيلُ» ؟!

يا قومنا، إنَّا نرى جزَّارَنا

وعليه من إغضائكم إكليلُ

أَوَ سنَّ هذا في الحياة «محمَّدٌ»

أتلاه في قرآننا جبريلُ ؟

يا إخوةَ الإسلامِ، ساوَمَنا على

إيماننا مَنْ قلبُه مغلولُ

عُرضتْ قضيّتُنا، وليس لمتنها

شرحٌ يفيد، ولا له تذييلُ

يا إخـــوة الإســـــلام، هذا ثوبُنا
بدمـــوعنا ودمـــائنا مـــبلولُ
عـجـبـاً، أتنتظرون أن تمحى بكم
أرضٌ ويدعـو الناسَ إسـرافـيلُ ؟!
عـجـبـاً، أتنتظرون أن يُلقى بكم
في البحـر، تعبث بالرؤوس ذيولُ ؟!
عـجباً، وينطفئُ السؤال، وينمحي
أثرُ الجـــواب، ويُخطئُ التـــعليلُ
لا البدرُ أنشدنا الضياءَ، ولا شدت
فـينا النجـومُ، ولا اسـتـضـاء دليلُ
كـــلاَّ ولا رَوَت الشـــمـــوسُ حكايةً
من نورهـا، أو أفـــــصح القـنـديلُ
عذراً - أخا الإسلام - صوتُك ظاهرٌ
لكنَّ ســـمعَ الغـــافلين ثقـــيلُ
شـغلتْـهم الأهواءُ عن أمـجـادهم
فـالشَّـهْمُ فـيـهم خـائفٌ مـخـذولُ
عـذراً - أخـا الإسـلام - إنَّا أمـةٌ
مـا زال يقلب رأسـهـا التَّطبـيلُ

أجـفـانُ أمـتنا تُكحَّل بالقـذى
أيراكَ جَـفْنٌ بالقـذى مكحـولُ ؟!
أوَمـا رأيتَ رجـالهـا قـد هـرولوا
ووراءَهم بالسَّـوط «إسـرائيلُ» ؟!
كم أوَّلوا مـعنى السـلام فـأشـرقتْ
شـمسُ الضـحى فتهـافت التـأويلُ
يا مَنْ صـلاح الدين منكم، لم أزل
أرنو إليـه، وسـيـفُـه مـسلُولُ
كسـر الصليبَ وحـرَّر الأقصى، فما
عـاش الصليبُ ولا اسـتقـرَّ دخـيلُ
مـا زلتُ أبصـره يـناجي ربَّه
والنجمُ غـافٍ، والهـلالُ كليلُ
يدعـو وقـائمُ سـيـفـه مـعشـوشبٌ
بالمكرمـاتِ، وحـدُّه مـصـقـولُ
يدعـو فـتنتـعش الدروب وينتـشي
قـدسٌ، ويفـرح باللقـاءِ خليلُ
يدعـو فـيُـفْـتَح كلُّ بابٍ مـقـفلٍ
ويصكُّ سـمعَ الغـافلين صـهـيلُ

مـــا زلتُ أبصـــره، وأُبصـــر أمـــتي

فـي عـــصـــرنا، وإزارُهـا مـــحلولُ

فـأكـاد أخـرج من ثيـاب عـزيمتي

وينـالني بعـــد الثـــبـــاتِ نُكولُ

عذراً ـ أخا الإسلام ـ إن مشاعري

نَهْـرٌ، خـريرُ مـيـاهه تبـجـيلُ

كم من أخٍ قـــتلوه ظلمـــاً بينكم

فكأَنما أنا، لا هو المقـــتـــولُ

هـذا دليـل أخـــــوَّةٍ فـي اللـه لا

يخـــفى ولا يتـــغـــيَّـــر المدلولُ

صـبـراً أخـا الإســلام إنَّ نهـارنا

آتٍ، يصـــــول بنـوره ويجـــــولُ

طرقُ السيـاسـة يا أخي مـعـوَجَّـةٌ

كم ضـاع فـيـهـا سـائسٌ ودليلُ

اللـه مـــــولانا ومـــــولاكم، وفي

كَنَفِ المهـيـمن نصـرُنا المأمـولُ

*****

لا تحدِّث بما جرى

لا تحـــدِّثْ بما جـــرى يا مـــذيعُ
إنَّ مـــا قـــد جـــرى لأمـــرٌ فظيعُ
لا تحـــــدِّث بما جـــــرى لبناءٍ
شـامخ، أجـهـزتْ عليـه الصُّـدوعُ
لا تحـــدِّثْ بما جـــرى لبـــلادٍ
ضلَّ فـيـهـا الراعي، وضلَّ القطيعُ
لا تحـــدِّثْ بما جـــرى إنَّ حـــزني
لكبـــيـــرٌ تضـــيق عنه الضُّلوعُ
يا مـــذيعَ الأخـبـــار أدميتَ قلبي
فطعـامي الأسى، ومـائي الدمـوعُ
إنْ تكنْ تسـتطيع صـبـراً فـإني
يا مـــذيعَ الأخـبـــار لا أســتطيعُ
سـافرتْ في مـدائن الحـزن نفسي
ليت شـعـري، مـتى يكون الرُّجـوعُ؟
كـيف نرجـو إذا أُضـيـعتْ أصـولٌ
في حـمـــانا ألاَّ تضـــيع الفـــروعُ

الرياض - ١٠/ ٤/ ١٤١٢هـ .

كلمـــا مـــات بيننا مـــشـــروعٌ
ضلّلونا، فـــجـــاءنا مـــشـــروعُ
يا مـــذيعَ الأخـــبـــار قُلْتَ «ســـلامٌ
عـــــالَمـــيٌّ»، لكنَّـه التطبـــــيعُ!

*****

الخطوط المبكية

هُدمتْ من حول قومي الأبنيَةْ
أُفرغتْ مما حوتْه الأوعيةْ
داهم الثَّلْجُ رُباهم، مالهم
منزلٌ يمنعهم، أو أَكسيةْ
ما لقومي ويحَهم قد وجموا
ولماذا دخلوا في الأخبيةْ؟!
أتُراهم لم يروا أعداءَهم
رفعوا فوق الرؤوس الألويةْ؟
أين قومي؟ قال لي واقعهم:
دعك منهم .. خدَّرتْهم أُغنيَةْ!
سرقت أحلامَهم راقصة
عندها يكمن سِرُّ الأُحجيَةْ
في يدي إعلامهم قنبلة
وحكاياتُ ضياعٍ مؤذيَةْ
قلتُ صرِّحْ، قال لي كلاّ أما
يفهم العاقل معنى التوريَةْ؟!

الرياض - الازدهار - ١٤/ ٥/ ١٤١٢ .

يلطم البـــاغي قَـــفَـــا أمـــتنا

وهـي تجـــري حـــوله مُلْتَـــويَهْ

تعـشق الجـــاني عليـــهـــا، ترتمي

عنده خـــائفـــةً مـــســـتـــجـديَهْ

سل ضـجـيج الليل عن صـرختـهـا

وعن الطهـــر القـــتـيل الأقـبـيَـهْ

رُبَّ وجـــهٍ أبيض اللون مَـــحَـــا

لونَه الأبيضَ لونُ المعـــصـــيَـــهْ

أتُرى أمـــتُنا تصـــحـــو، وقـــد

أصبحت في لهوها مسترخيَهْ ؟

أيُّهـــا الســـائل عنهـــا لا تسل

عن صـراع الأذْرُع المسـتـخـفـيَـهْ

ربما تصـــحـــو، ولكن بعـــد أنْ

تتـــــولاّها المآسي المُعْـــديَهْ

لا تسل عـن أمـــــةٍ حـــــائرةٍ

هي فـي حـضـن الرَّدَى مـسـتلقـيَـهْ

لـم نـزلْ نـدعـــو، ولـكـن مـــالـهـــا

أُذُنٌ نحـــو المنادي مُـــصـــغـــيَـــهْ

آهِ لو تعرف معنى صرختي
سرَّ هذي الحسرةِ المستشريهْ
آهِ لو تعرف، كم أُطلقُ في
لَّجةِ الليل، سهام الأدعيَهْ
أمتي، لا تنكري، إني أرى
بين عينيكِ الخطوط المبكيَهْ

*****

جزائـــر الخيـــر

جـزائرَ الخيـر .. أين الرائح الغـادي
أين «ابنُ باديسَ» أين الغصن والشادي؟
جزائر الخير .. تاه اللحن في شفتي
وضـاق عن حسـراتي ثغـرُ إنشـادي
ووثَّق الحـــزن فـي قـلبي روابطَه
وقـد رأى من جـراحي خيـرَ إمـدادِ
جـزائرَ الخـيـر .. لا ظلٌّ ولا ثمـرٌ
ولا خُـــزامى ولا فُلٌّ ولا كـــادي
تصحَّرت أرضُ أحلامي، فـقافلتي
تسـيـر فـيـهـا بلا مـاءٍ ولا زادِ
نام الخليّون في أحضـان رغبـتهم
ونـحن فـي أرقٍ مُـضنٍ وتَسـهـادِ
نخشى على أمَّةِ الإسـلام حين نرى
قـوافل الخيـر تمضي دونما حـادي
نخشى من الراكبين الوهمَ، ما قطعوا
شـوطاً، ولا فـتـحـوا باباً لإنجـادِ

الرياض ـ ٢٠/ ١/ ١٤١٢هـ .

تعـمى بصـائرهم عن كلِّ منحـرفٍ
ويرصـدون ذوي التـقـوى بمرصـادِ
مـا بالهم سلبـوا عـينيكِ نورَهـمـا
وكـبَّلوكِ بـأغـلالٍ وأصـفـادِ؟!
مـا بالهم جـعلوا الأبواب مُشْـرَعـةً
للغـرب، مـغلقـةً فـي وجـه أجـدادِ؟!
مـا بالهم جـعلوا «باريس» قـدوتَهم
ووجَّـهـوا نحـوها وجـدانَ منقـادِ؟!
مـا للصـحـافـة تجـري في أعنتهـا
على مـسـاحـاتِ أوهـامٍ وأحـقـادِ؟
مـا بالهـا لا ترىَ إلاّ الظلامَ ولا
ترى مـعـالـم إنقـاذٍ وإرشـادِ؟
جـزائـرَ الخـيـر مـا بال الربيع شكا
موت الزهور وصَمْتَ البلبل الشـادي؟
مـالي أرى تلمسـان الحبِّ واجـمـةً
وفي الجنوب أرى إطراقـةَ الوادي؟
تدفُّقُ النورِ من كـفـيك أفـزعـهم
والنور يُفـزع من يسـعى لإفـسـادِ!

رأوكِ نحو مدار الشمس صاعدة
وأبصروا النَّبْعَ يَشفي غُلَّةَ الصادي
وأبصروا من شباب الحقِّ همّتَه
ما بين حافظ قرآنٍ وسَجَّادِ
قاستوقفوكِ على أبوابِ حيرتهم
وحرّكوا ألف كوهينٍ وحدَّادِ
تسعَيْن في طُرُق الإيمان جاهدةً
وتشرئبِّين في شوقٍ إلى الهادي
وتنشدين لنور الفجر أغنيةً
تسجّلين بها تاريخَ ميلادِ
وهم يغنون ألحان الضياع وقد
ملَّت ترانيمَهم أوتارُ أعوادِ
جزائرَ الخير ما هانت روابطنا
ولا خضعنا لأعداءٍ وحُسَّادِ
ولا خُدعنا بأقوال ملفَّقةٍ
تُدار ما بين خرَّازٍ وزرَّادِ
بين المشاعر جسرٌ من عقيدتنا
وبين أفواهنا جسرٌ من الضَّادِ

مـا زلتُ أذكـر مليـوناً، جـمـاجـمـهم
شـواهدُ العـزِّ فـي تاريخ أمـجـادي
روَّت دمـاؤهم الأرضَ التي كسـرتْ
طَوْقَ الخضوع لأمر الغاصب العادي
جـزائر الخـيـر، هذا نَهْرُ صـحـوتنا
مـــازال ينبع من قـــافٍ ومن صـــادِ
مـــازال يغـسلنا من كل منقـصـةٍ
فـيـنـا، لبـسـنـا بهـــا أثوابَ إخـــلادِ
غداً - بإذن إله العرش - سوف نرى
كـتـــائب الحق تمحـــو كلَّ إلحـــادِ
وسـوف نمسح عن أجـفـان أمـتنا
مـــا خلَّف الدمعُ من آثار إجـهـــادِ
جـزائر الخـيـر، إني سـوف أُعلنها
صـــريحـــةً ذات إبراقٍ وإرعـــادِ
الظالمون سـواءٌ، كـيـفـمـا اختلفتْ
أوصـافُـهم، كلُّهم «جـزَّارُ بغـدادِ»!
تعـدّدتْ رُتَبُ الأقـوام واخـتلفـوا
وجـمّـعتْ بينهم أوصـافُ جـلاَّدِ

هذا ندائي فيا دنيا اسمعي، وخذي
وبلِّغي، وافـهـمي مـعناه وازدادي:
يا ساسـةَ القِمع: هذا صوتُ أمـتنا
يقــول: لا تقــتلوا بالظلم أولادي

*****

عندما تشرق الشمس

«بعد أنْ ظهر لعامة النَّاس زيفُ دعاوى الديمقراطية في هذا الزمن»

أخبارك اليوم يا حسناءُ أخباري
جرحٌ يشاركني في نظم أشعاري
رؤىً تلوح أمامي وهي قاتمةٌ
مكسوَّة بلباس الذلِّ والعارِ
أتى الربيعُ فلم أشعر بمقدمه
لا الظِّلُّ ظلي، ولا الأزهار أزهاري
والغيم ليس بغيمي حينما ازدحمتْ
به السماء ولا الأمطار أمطاري
تقول:أَطفئ لظى حزني، فقلت لها
هل تُطفَأُ النار يا حسناءُ بالنارِ؟
هل يُطلب الماء ممن يشتكي عطشاً؟
هل يُطلب الثوب ممن جسمه عاري؟
تقول: سِرْ في اتجاه الموج، قلت لها
لا الموج موجي، ولا التيَّار تيَّاري

الرياض - الازدهار - ١٩/ ٧/ ١٤١٢هـ .

في عصرنا اضطرب الميزان واختلطت
أوراق قومي، وضاعت، وجهة السَّاري
غابت عن النَّاس أحكام الشريعة في
عصري، وعاشوا على أبواق «شُطَّارِ»
قرآننا يحمل البشرى، وأمتنا
تتيه ما بين مخمورٍ وخمَّارِ
يُكال فينا بمكيالين، بينهما
ما بين منهج «حسَّانٍ» و«بشَّارِ»
حرية الدين عند القوم مهزلة
محكومة بصراع القطِّ والفارِ
ألم تري دوحةَ الإنقاذ كيف جرى
لقطع أغصانها مليونُ منشارِ؟!
تمضي على منهج القرآن رافعة
شعاره فتلاقي ألف غدَّارِ
واحسرةَ القلب من أبناء جلدتنا
ممن يعيشون في غيٍّ وإنكارِ
ممن يمدون بالإرهاب أيديَهم
إلى الحمى، وإلى الباغي بأزهارِ

يا ويحهم يحسبون العزَّ أن يصلوا
إلى الكراسي على أكتاف أشرارِ
يا من تسائل عن حزني وعن ألمي
وعن صمودي على دربي وإصراري
لا تعجبي من زوايا رؤيتي، فلقد
صوَّبْتُ في زحمة الأحداث منظاري
منظارَ حقٍّ من القرآن مصدره
لا من سواه، ومن أقوال مختار
لا تعجبي فأنا بالله معتصمٌ
إليه وجَّهْتُ إعلاني وإسراري
أسعى لتصحيح أخطاءِ الطريق ولا
ألقي على غير نفسي عبءَ أوزاري
كفكفْتُ دمع حروفي واستعدْتُ لها
ما كدت أفقده من عَزْفِ أوتاري
ما زلتُ أغرس في دربي خُطايَ فما
بلغتُ قصدي، ولا أَنْهيتُ مشواري
أُعيذ عينيكِ من سَفْي التراب إذا
نادى رمالَ الفيافي صوتُ إعصارِ

أعـيـذ قلبك من سـهم تسـدِّده
كفٌّ الأسى بين أشـواق وأَسـرارِ
يا نبتة الحب في قلبي، خذي ودعي
من المشـاعـر مـا تبـغين واخـتـاري
ولا تظني بمثلي اليـأسَ إنَّ فـمي
يشكو، وإنَّ فـؤادي غـيـرُ خـوَّارِ
أصـوِّر الجـرح للغـافين كي يقـفـوا
على حـقـائق أحـداثٍ وأخـبـارِ
النصـر عند إله الكون يمنحـه
للمـؤمـنين ولا يُعطى لكفَّـارِ
سلي طغـاةَ قـريشٍ عندمـا وقـفـوا
مـسـتـسلمين على بوّابة الغـارِ
خيـولُهم تركل الأرضَ اليَـبَـابَ أسىً
والعنكبـوت تُريهم قـدرة البـاري
سلي سُـراقـةَ لما ثار في دمـه
شـوقٌ إلى إبلٍ تُعطى ودينـارِ
سليه حين طوى البيدَ العِطاشَ على
جـواده الحـرِّ في حـزمٍ وإصـرارِ

حـــتى إذا مـــا دنا ممن يريد رأى
جـــوادَه واقـــفـــاً من غـــيـــر إنذارِ
غاصتْ قوائمه في الأرض واعجباً
أنَّى تغـوصين في رملٍ وأحـجـار؟!
مـهـلاً سُـراقـةُ! هذا أمـر خـالقـهـا
يَقـضـي ويُمـضي بميـزانٍ ومـقـدارِ
سلي غطارفـةَ الأحـزاب حين رمـوا
بـألف ســـهمٍ، وهـزُّوا أَلْفَ بتَّـــارِ
وحين سـاقـوا على دُهْمِ المراكب مـا
سـاقـوه من جـحـفلٍ للبـغي جـرَّارِ
وحـينمـا نحـروا أغلى الجـزور فلم
يُبـقـوا بما صنعـوا جُـهْـداً لنحَّـارِ
سلي الخيـام التي طارت تلاحـقُـهـا
أوتادُها، وبقـايا صـوتِ مـزمـارِ
مَن الذي حرَّك الرِّيح الشَّموسَ على
خـيـامـهـم، ورمـاهـم رَمْيَ جـبَّـار؟!
مَن الذي ردَّهم بالذلِّ، مـا بلغـوا
قـصـداً، ولا أغلقـوا بوَّابة الثـارِ؟!

أبعـــد هـذا نهـــابُ الظالمين وهم
أذلُّ منـزلـةً من حِلْس حـــمَّـــارِ
هم دمـيـةٌ في يد الأعـداء عـاجـزةٌ
وتحت مطرقـة البـاغي كـمـسـمـار
إنَّ الذي هزم الأحـــزابَ هازمُـــهم
مـهـمـا استـعـانوا بخـدَّاعٍ ومكَّارِ
قـالـت أراك حـملتَ الهمَّ، قلت لهـا
لأننـي عـــــاشـقٌ لـلأهـلِ والـدارِ
لأنني أعـشق الدين الحنيفَ، وهل
ســـواه يدفع عنـا شـــرَّ أخطارِ
حـسناءُ لا تسـألي عني، فلي ثقـةٌ
بالنصـر من مـالكٍ لـلأمـر قـهَّـارِ
قد أشرقت شمسُ دين الله فانتظري
على ضفاف الأماني البيض أشعاري

*****

وقفةٌ أمام جامع الزيتونة

«جامع الزَّيتونة بتونس له عراقة التاريخ الإسلامي، وله إضاءته العلمية التي جعلته مقصد النابهين عندما كانت الأمة الإسلامية في مقدمة الصفوف».

بأبي وأمي البـــاذلين دمـــاءَا
الرافـــعين من اليـــقين لواءَا
بأبي وأمي المكشـــرين عطاءَهم
ولكم يُقِلُّ الواهمـــون عطاءا
بأبي وأمي الرافـــعين رداءهم
ولكم يَجُـــرُّ المتـــرفـــون رداءا!
بأبي وأمي الصـــابرين على الأذى
والصـــامـــدين ترفُّـــعـــاً وإباءا
بأبي وأمي البـــاذلين حـــيـــاتهم
لـله، للدين الحنيف فـــــداءا
يا تونس الخضراء، سُحْبُكِ كم شدتْ
غـيـثـاً، وكم مـدّتْ يداً سَـحَّـاءَا

الرياض - الازدهار - ١٤١٢هـ .

عـهـدي بأرضك زهرةً فـوّاحـةً
تُهـدي القلوبَ سـعـادةً وصـفـاءا
عـهـدي بهـا نهـراً يُسلسل مـاءه
عـذباً، ويأبى أن يضمَّ غُـثـاءا
عـهـدي بجـامـعك الكبـيـر منارةً
للعلم تمنح للعـقـول ضـيـاءا
لِمَ تسكتين على الذين استـغـربوا
وإليك مـدّوا راحـةً سـوداءا؟
جلبـوا قـوانين الضـيـاع، وإنما
جلبـوا إليك تعـاسـةً وعناءا
مـالي أراكِ تُلَمِّظين مـشـاعـري
وتُعطِّشين الواحـة الخـضـراءا
يا تونس الخضـراء صيّرني الأسى
طفـلاً كـبـيـراً يشـتكي البُـرَحَـاءا
أتلاحـقين شـبـابَك الحـرَّ الذي
جعل العـقـيـدةَ مِشْـعـلاً وضَّـاءا؟!
أوَ كلّمـا اعـتـاد المسـاجـدَ مـسلمٌ
ذاقَ الوبال وواجـه اسـتـعـداءا؟!

أوَ كلَّمـا ارتدَتِ الحـجـابَ أبيَّـةٌ

لاقت من المسـتـغـربين بلاءَا؟!

مـا بالكم يا قـوم، تسـعى أمـةٌ

لـلـديـن تـعـلـن لـلإلـه ولاءَا؟

ما بالكم تسعى الشعوب إلى الهدى

بعـد الضـلال وتخطب العليـاءا؟

فـتـحـركـون لهـا أصـابع مكركم

وتمزقـون أمـامـهـا الأشـلاءا

أوَمـا ترون الفـجـر يُلقي خُطبـةً

من نوره، وقـصـيـدةً عـصـمـاءا؟

يا جـامع الزيتـونةِ، اختلف المدى

وجنى عليك المعـتـدي وأسـاءا

قـد كنتَ ينبـوعـاً لكل فـضـيلةٍ

تبني على نَهْج الهـدى العلمـاءا

واليـوم ترمـقك العـيـون، فـمـقلة

تبكي، وأخـرى تطفح اسـتـهـزاءا

لو أبصر «ابن الأغلب»(*) النار التي
لَفَحتْكَ أرسل جيشه إطْفاءا!
يا تونس الخضراء بين جوانحي
حبٌّ يخالط حسرةً وشقاءا
إني أعاتب فيك مَنْ نسجوا لهم
من فكر أعداء الرشادِ كساءا
يا من نصبتم للدعاة شباككم
وبثثتُم العملاءَ والرُّقباءا
لِمَ ترهبون الصالحين إذا دعوا
للحقِّ، أَوْ لم يقبلوا الإغراءا؟!
إني أرى خُطَطَ الأعادي أثمرتْ
في قومنا وأثارت البغضاءا
هذا يسفِّه رأيَ ذلك بالهوى
والكُلُّ يُلقي خطبةً بتراءا
يا أمة الإسلام، وَجْهُ قصائدي
يَرْبَدُّ، والوجه البَغيض تراءى

(*) المقصود محمد بن الأغلب الذي أعاد بناء جامع الزيتونة وهو من أسرة إبراهيم بن الأغلب الذي ولاّه هاون الرشيد أمر تونس.

وأنا أتابع سَـيْلَ أسـئلتي الذي
يجـري، يبـصِّـر مـقلةً عـمـيـاءا
مـــا بال أمـــتنا أناديهـــا، ولا
تصـــغي إليَّ ولا تجـــيب نداءا؟
مـا بال أمـتنا تصـفِّف شـعـرها
للغـاصـبين وتعـشق الدُّخـلاءا؟
مـــا بال أمـــتنا تسلِّم أمـــرَها
للظالمين وتقـبل الإغْـضَـاءا؟!
أرأيت في الدنيـا حكيـماً عـاقـلاً
يجفو الظِّلالَ ويسكن الرَّمْضاءا؟!
أرأيت في الدنيـا فـتـاةً حـرَّةً
تعـصي العـفـافَ وتَتْبَعُ الأهواءا؟!
إني لأُبصـــر أمـــتي في لهـــوها
تمضي، فأَخفض جبهتي استحياءا!
وأرى الطواغـيت الذين تلبَّـسـوا
بالظلم صُبْـحًـا كـالحـاً ومـسـاءا
فـأكـاد أهدم كلَّ بيتِ قـصـيـدةٍ
وأكـــــاد أرفـع لـلـقـنـوط بـنـاءا

يارَبِّ قـد عمَّ البـلاءُ، فَـهَبْ لنا
فـرجـاً، وحـقِّقْ للمـريض شـفـاءا
لك قـد منحنا يا عظيمُ ولاءَنا
حـراً، فـمـا نعطي سـواك ولاءا
إني أقـول لأمـتي وهي التي
وقـفت أمـام قـصـيـدتي صَـمَّـاءا
لولا يـقـيني بالإلـهِ ونصـره
لجـعلت شـعـري دُمْـيَـةً بكْمَـاءا

*****

لا تلعب بالنار

يا ولدي ..
لا تلعب بالنارْ
أَطفئ هذا الكبريتَ ..
وأَبعدْ هذا الصاروخَ...
وهذاالمسمارْ
العَبْ يا ولدي بالمزمارْ!
العبْ بالرَّمل وبالأحجارْ
بغصونِ الأشجارْ
العبْ بالدرهم والدينارْ
العبْ بالكرة الملساءْ
حرِّك دميتك الخرساءْ
العبْ بالطين وبالماءْ
العبْ بجراح الفقراءْ
لكنْ ..
لا تلعبْ بالنارْ!
فالنار طريق الأخطارْ

الرياض - ١٨/ ٩/ ١٤١٢هـ .

العالَمُ يُنْشِدُ لحن سلامْ
ويمدُّ ذراعَ وئَامْ
ويحطِّم أسلحة الحربْ
ويحرِّم في المدرسة الضربْ
فلْنهتفْ باسم الغربْ
ولْنُغلِق بابَ الحربْ
يا أبتي مهلاً يا أبتاهْ
الوقت جريحْ
وعروق الوقت تُقطَّع باسم الترويحْ
والديك يصيحْ
يا أبتي ..
إنَّ سلام الغرب هباءْ
اسألْ ياأبتي الأشلاءْ
اسألْ عائشةً وسناءْ
اسألْ محموداً وبَراءْ
يا أبتي مهلاً يا أبتاهْ
العالم يلعب بالنارْ
ويحكِّم في الغصن المنشارْ

ويحكِّم في الأمن الأشرارْ
فلماذا لا ألعبُ بالنارْ؟
كي أَقْصِمَ ظهر الأخطارْ
كي أهزم جيش الروم الجرَّارْ
كي أُخرج قومي من كهف العارْ
يا أبتي مهلاً يا أبتاهْ
ستصير الصحراء قلاعا
ولسوف يمدُّ الخصبُ ذراعا
وسيغدو الرملُ شعاعا
والأرض تدورْ
والفجر يمدُّ ذراع النورْ
وبقاع الأ رض عيونٌ ترنو للبيت المعمورْ
وتردِّد ما ردّدنا ..
النصر لدين اللهْ
النصر لدين اللهْ

*****

بين الصَّحْوِ والحُلُم

أكاد أهرب من صَحْوي إلى حُلُمي
وأبتني كوخَ شعري في رُبَى ألمي
أكاد أقطع حبل الودِّ في زمنٍ
صارت مودَّتُه لحماً على وَضَمِ
أكاد أحرق أوراقي وأرسلها
مع الرِّياح دخاناً غيرَ منسجمِ
أ كاد أكسر رمح الشعر في زمنٍ
صارت قصائده ضرباً من السأَمِ
أكاد أُوغل في الماضي، أعيش على
أمجادنا يوم كنا قادةَ الأممِ
ويوم كنا نرى أخطاءَنا ونرى
صوابنا، ونلاقي الخَطْبَ بالهمَمِ
ويوم كنا نداوي كلّ نازلة
بعزمنا، وبصفٍ غير منقسِمِ
أشكو إلى الله تجار الحروبِ رموا
آمال أمتِنا في لجَّةِ النُّظُمِ

مـا بين قـوميـةٍ لم تبنِ مـذ نشـأتْ
مـجـداً، ولا بذلت عـدلاً لمحـتكمِ
وبين بعثٍ تلاقى في مـــبـــادئه
مع اليـسـار، وأبدى طبع منتـقمِ
وبين كـفـرٍ تداعى نحـو أمـتنا
ضـحىً، ومـدَّ إليـهـا كفَّ ملتـهمِ
أشكو إلى الله علمـانيـةً رفـعتْ
شـعـارها في بلادِ العُرْبِ والعَـجَمِ

*****

يا بائع القلب في سـوق المصـالح لا
يخطرُ بِبـالك أنَّ الحِلَّ كـالحَـرَمِ
ولا تـظـنَّ أنَّ الـنـجـم فـي وَضـحٍ
من النهار، كمثل النجم في الظُلَمِ
كم بيَّتَ الناس أمـراً يكتـمـون به
سـراً، فـأصـبح فـينا غـيـر مكتـتمِ
قد يجتني المرءُ من أغصان فرحته
حـزناً، وقـد يُهلَكُ الإنسـان بالنِّعَمِ

لغة الحياة

الليل ثوبٌ والنُّجـــومُ ثقـــوبُ
وأمـــام دارك حـــارسٌ ورقـــيبُ
والصـمتُ بابٌ مـغلقٌ من خلفـه
ألمٌ وخـــوفٌ قـــاتلٌ ونحـــيبُ
ووراء باب الصمت أَلْفُ حقيقةٍ
مـاتت، وصـوتٌ شـاعـرٌ وخطيبُ
يا شـاكـيـاً من ليله وظلامـه
مـهـلاً، فـعـيشك باليـقين يطيبُ
والفـجـر مـيدانٌ فـسيحٌ، وجـهُـهُ
طَلْقٌ، وليس لقـــولـه تـكذيبُ
كلُّ المنابع في يديك، فـــلا تقفْ
ظمـــآنَ، قلبُكَ حـــائرٌ مكروبُ
لغـةُ الحـيـاة فـصـيـحـةٌ، لكنّنا
في غـفلةٍ، والحـادثاتُ ضُـروبُ!

*****

يا طِفْـــلُ

منْ أين أنتَ؟ أراكَ تشـرب حـسـرةً وتلوك جـرحـا
وأراك تفـتح بـاب حـسـرتنا على المصـراع فَـتْـحـا
وأراك تسـفح أدمع المأسـاةِ من عـينيكَ سَـفْـحـا

*****

من أين أنتَ؟ أراك مـا جـاوزتَ سنَّ العـاشـرَهْ
مـازلتَ ترسل نظرةً في وجـه عـصـركَ حـائرهْ
مـازلت تسـأل عن أحـاديث الرَّصـاص الهـادَرهْ
مـازلت تسـأل عن مـؤامـرةِ الظلام السـافـرَهْ
عن ثورة الموج الرَّهيب عن اخـتـفـاءِ البـاخـرهْ
مـازلتَ ترمق ليلنا الطَّاغي بعينٍ سـاهرَهْ
من أين أنت؟ أراك تبـهـرنا بنفسٍ صـابرَهْ
وأراك في عـصـر التـخـاذل، والتـراجُع، ظاهرهْ

*****

أنا من ربوع الوحي، من بطحـاء مكّتنا النقـيَّـهْ
أنا من دمـشق الشـام، من بغـداد عـزّتنا الأبيَّـهْ
أنا من رباط الفتح، من صنعاءَ، من قدس القضيَّة

الرياض ـ الازدهار - ١٥/ ٦/ ١٤١٢هـ .

أنا من بخـارى، لا تسلْني عن مـرابعـهـا الغنيَّـةْ
أنا من رُبى كـابولَ، من قـرغـيـزيا الأرض الفـتـيَّـةْ
أنا طفل أمـتك التي كـانت مـعـزَّزةً قـويَّـةْ
أنا طفل أمـتك التي تاهتْ فـصـرتُ أنا الضـحـيَّـةْ

*****

يا طفلُ .. في عـيـنيكَ نهْـرٌ لا يَمَلُّ تدفُّـقـا
والروضُ، روض الطهـر في سـاحـات قلبك أوْرَقـا
والفـجـر، فـجـر الحقِّ في جَنَبـات نفسك أشـرقـا
إنـي أراك وأنت تـرنو لـلسـمـاء، تـعلُّـقـا
وأرى مظاهـر قـومنا فـأراك أعلى، أَسْـمَـقَـا
وأراك أقـوى حـجّـةً، وأراك أصـدق منطقـا
وأراك أعلى هامـةً، وأراك أصـعب مُـرْتَقَى
يا طفلُ .. خُـذنا قـد مللْنا في الحـيـاةِ تملُّقـا!

*****

أهلاً بكم .. أنا سـوف أحـملكم على كـتف العـزيمَةْ
ولسـوف أحـرسكم، وأمنحكم من الحـرب الغنيـمَـةْ
أنا أيهـا الأحـبـاب طفلٌ غـيـر أنَّ يدي سليـمَـةْ
سـيـروا ورائي سـوف أصـرف عن وجـوهكم الهـزيمَةْ
بتـعلُّقي باللهِ لا بعـتـاد أصـحـاب الوليـمَـةْ!

الوَجهُ ... القفا

تثاقل الليلُ حتى خِلْتُه وقفا
وخِلْتُ أنَّ المدى عن دربه انحرفا
وخِلْتُ أنَّ شموع الأنجم انطفأتْ
وأنَّ وجهَ أميرِ الليل قد كسفا
تطاول الليل حتى ما رأيتُ له
رأساً ولا وسطاً يبدو ولا طرفا
ياليلُ: هذي يدي، هذي أناملُها
تقدِّم الدرَّ والياقوتَ لا الصَّدَفا
خذْ ما تشاءُ وسافر عن مرابعنا
واطو الستارَ الذي أَلْقَيتَ والسُّدفا
إني رأيت خيالاً فيك أفزعني
وما تبيَّنْتُ لا رأساً ولا كتفا
رأيت ما يُشبه العين التي ذَرفتْ
دمعاً، وما يُشبه الجرح الذي نَزَفا
رأيت شيئاً عريض المنكبين، له
وجهٌ بكلِّ صفاتِ الرَّهبة اتّصفا

الرياض - ٢٠/ ٤/ ١٤١٢هـ .

عــرفــتُــه، غــيــر أنَّ القلب ينكره
وربما ينكر الإنســانُ مــا عــرفــا
قل لي ـ بربكَ ـ مَنْ هذا، وكيف أتى
وكيف ألبَسْتَه من لونك اللُّحُفا؟!
قلْ لي ـ بربكَ ـ مَنْ هذا، رأيتُ له
ظلاً، ولم أرَ لا فكراً ولا هدفــــا
دروبنا برئتْ من رجس خطوته
والسترُ عنه وعن أوزاره انكشفا
أَقَادمٌ من وراء السدِّ يُخبر عن
مسير يأجوجَ تمحو روضَنا الأُنُفا؟!
أم قادمٌ من وراءِ البحر يحمل من
أفكار أعدائنا ما يجلب التَّلَفَا؟!
قل لي - بربك - إن الحزنَ أبدع في
غَرْسِ الأسى في حنايا القلب واحترفا
إنْ كان قد جاءنا بالوهم ينقله
من مذهب، طَرْفُ مَنْ يدعو إليه غَفا
أو جاءنا بحثالاتِ الكؤوس وقد
سقى بها قلبَه الموبوءَ وارتشفا

أو جـاء يعـرض فـي غِشٍ يضـاعـتَـه
يريد أن يجـمع التَّطْفيفَ والحـشفـا
فـــقلْ لـه: إنَّ نَهْـــرَ الحقِّ فـي دمنـا
يجـري، وقـد لذَّ فـينـا نبـعُـه وَصَـفـا
إني سـألتُك عن أوصـافِ مَنْ وقـفتْ
أوصـافُـه خَلْفَ إدراكي كـمـا وقـفـا
أتعـبتُ عـينـيَّ في تمـيـيـز صـورته
فـمـا رأيت لـه وَصْـفـاً به وُصِـفَـا
قل لي ـ بربك ـ مَنْ هذا وما حملتْ
أحـشـاؤه، ولماذا يُظهـر الصَّلَفـا؟!
أجـابني سـاخـراً مني ومن لغـتي
مهـلاً، فـوجهُ الذي حدَّثْتَ عنه قَفَا
هذا «تناحُـركم» يبـدو لكم شبـحـاً
وسوف يبقى إذا لم تحرسوا الشَّرَفَا!

*****

حوارٌ مع وردة

الشَّـــذا فـــيكِ والرُّواء جـمـــيلُ
وبأوراقك الندى مـــشـــغـــولُ
أنتِ أُودعتِ في التـــــراب بذوراً
وزنُهـا في العـيـون وَزْنٌ ضَـئـيلُ
أنتِ ســـافـــرتِ في عـــوالم طينٍ
مـــا بهـــا فـــاضلٌ ولا مـفـضـولُ
خـبـــريني مـــتى شـقَـقْتِ تراباً
وتراءى لكِ الضـــيـــاءُ الهـــزيلُ؟
خـبـــريني مـــتى صـعـدتِ إلينا
وتغنى بك النســـــيم العليلُ؟
في ضـمـيـر التراب أصبحتِ سـراً
تشـتـهي أن ترى مـداه الحـقـولُ
لم تكوني تحت الثـرى ذات شـوكٍ
فلمـــاذا أصـــابك التـــبـــديلُ؟!
ولماذا وخـــزْتِ بالشـــوك كـــفـــاً
مـــدَّها عـــاشقٌ حـــزينٌ نحـيلُ؟!

الرياض - ١٤١١هـ .

صـــعَّـــدتْ عطرها إليَّ وقـــالت
شـــــرح هذا الذي تريد يطولُ
كنتُ في باطن التـــراب حـــيـــاةً
باب ســـرِّي أمـــامكم مـــقـــفـــولُ
بـذرةً كنـتُ، وزنـهـــــا ليس وزنـاً
في يديكم، وأمـــرها مـــجـــهـــولُ
لم أكـــد أنفض التـــراب وأبدي
رأس جذري حتى استبدَّ الفضولُ
ورأيت الأيديْ تُمَـــدُّ ســـراعـــاً
كل كفٍ ذراعُـــهـــا مـــفـــتـــولُ
بشـــرٌ تحـقـرون شـــأن ضـعـيفٍ
ومـــقـــام القـــويِّ فـــيكم جليلُ
إنَّ شـــوكي وســـيلةٌ لدفـــاعي
عن حـيـاتي، وللنجـاة ســبـيلُ
كم نشرتم في النفس خوفاً عميقاً
وتراءى منكم خـــيـــالٌ ثقـــيلُ
كم بدا لي من أمـركم مـا دعـاني
لـذهـولٍ، أَخـفُّ مـنـه الـذهـولُ

كلَّ يومٍ يلوح لي وجهُهُ باغ
ويزفُّ الأسى إليَّ قتيلُ

أمركم أيُّها العباد عجيبٌ
أين أحلامكم وأين العقولُ؟!

أوَما يحسم الخلافاتِ إلاَّ
منطقٌ غاشمٌ وسيفٌ صقيلُ؟!

إيهِ يا وردة الصباح رويداً
ففؤادي يشكو وطرفي كَليلُ

والأسى عاصفٌ، فلولا خيولٌ
للأماني يحلو لهنَّ الصهيلُ

لطوتني الأحزان طيَّ سِجِلٍّ
واستدارتْ إلى الوراء الخيولُ

إيهِ يا وردتي أطلي ليمحو
كلَّ همٍّ جببينُكِ المبلولُ

أنتِ أشبهتنا، فنحن جميعاً
سوف نفنى، وأيُّنا لا يزولُ؟

إن تركناكِ ما قطفناكِ حيناً
فسيسطو على حماكِ الذبولُ

نحن يا وردتي كـذلك، نحـيـا
ثم يأتي بعـد المقـام الرحـيلُ
حـالُنا في التـرابِ حـالُكِ لكن
مُكْثُنا نحن في التـراب يطولُ!

*****

من القدس إلى سراييفو

أذبلتني لأجلكِ الأحـــــزانُ
وبكى قبل مقلتي الوجدانُ
سهم عينيكِ لم يصبني، ولكنْ
سلبتني إرادتي الأجفانُ
أنتِ لم تنطقي بحرفٍ، ولكن
غار من صمتكِ البليغ البيانُ
لغةُ العين نظرةٌ ذاتُ معنى
وحديثُ المشاعر الخَفَقانُ
أنتِ غيثٌ في قيظ جرحي هنيءٌ
وعلى شاطئ المنى الريحانُ
أنتِ في غامدٍ ترانيمُ حبٍّ
ردَّدتْها بلهفةٍ زهرانُ
أنتِ في قريتي الحبيبة فجرٌ
تزدهي في جبينه الألوانُ
أنتِ ريحانةٌ شذاها يريني
كيف تزهو الجبالُ والوديانُ

الباحة ـ عراء - ١٥/ ٢/ ١٤١٣هـ .

أنتِ في لوحة الطبيعة نَهْرٌ
تتغنَّى بمائه الشُّطآنُ

لا تغيبي عني فإني لأخشى
أنَّ يجفَّ الندى، ويشقى الجنانُ

يصبح الظِّلُّ لوحةً من شحوبٍ
حين تشكو جفافَها الأغصانُ

آهِ، لو تسمعين ما قال حزني
وبماذا تحدَّث الطُّوفانُ

إن تريدي وصفاً لأمواج همِّي
فاسمعي ما يقوله البركانُ

لا تقولي: مَنْ أنتَ؟ إني محبٌّ
أُشعلتْ في فؤاده النّيرانُ

يرحل الشعر بي فما لي مكانٌ
مستقرٌّ، ولا لشعري مكانُ

أكتب الشعر في بني ظبيانٍ
فتغنِّي بشعريَ القيروانُ

وتُغَنِّي به بساتينُ يافا
وتغني بلحنه لبنانُ

يرحل الشعر بي، فوجهُ دمشقٍ
يتراءى، وتهتف الجولانُ
وتغنّي صنعاءُ بعض نشيدي
وتراني أمامها تلمسانُ
يرحل الشعرُ بي، ففي سيناءٍ
ألفُ بيتٍ يشدو بها الميدانُ
وعلى النيل والفرات بقايا
من نشيدي يشدو بها السودانُ
وعيون العراق ترقب فجراً
تحت أضوائه يتيه الزَّمانُ
يرحل الشعر بي إلى القدس، لكنْ
كُسِرَتْ عند بابه الأوزانُ
آه يا قدسنا تنكَّر قومٌ
وأباحوكَ للعدوّ وخانوا
صنعوا قهوة الخضوع، فلما
أتقنوها، تبرَّأ «الفِنْجانُ»
ثار موج الإرهاب فيهم، فقل لي
كيف ساق السفينةَ القُبطانُ؟!

أإلى شـــاطئ الأمـــان دعـــاها
أم إلى شـاطئٍ جـفـاه الأمـانُ؟!
شـرب البـحـر مـاءه فـتـلاشى
كلُّ مـوجٍ، ومـاتت الحـيـتـانُ
بحـرنا اليـوم، لجَّـةٌ من سـرابٍ
باع فـيـهـا حـيـاته الظمـآنُ
قَلْبُ مـسـرى نبـيِّنا يتلظَّى
وعلى وجـهـه يثـور الدُّخـانُ
وبعـيـنيـه أدمعٌ لا تسلّني
عندها كـيف يصنع الفَـيَـضـانُ
ودعـاةُ السـلام يبنون بيـتـاً
ومـحـالٌ أن يكْمُل البنيـانُ
كـيف تُبنى البـيـوت فـوقَ رمـالٍ؟
كـيف تُبنى ومـا لهـا أركـانُ؟
أرأيـتـم فـي الأرض آثـار بـيـتٍ
مـاله سـاحـةٌ ولا جـدرانُ؟!
مـالهم يركـضـون في كلِّ صَـوْبٍ
دون وعيٍ، كـأنهم عـمـيـانُ؟!

يا عـيـون الســادات نـامي طويلاً
فـقـد اجـتـاح قـومَنا الإذعـانُ
ملَّت الكأسُ شـاربيـهـا، وألقى
سرجَه الحُرَّ في الطريق الحصانُ
كلُّ من سطَّروا كـتـاب التـصـدِّي
مـسـحـوا أحـرفَ الكتـاب ولانوا
طُعِن المجْـدُ غـيْلَةً، فـبـمـاذا
سيـلاقي الحقيـقـةَ الهُـرمـزانُ؟!
وطبـولُ الإعـلام تُقْـرعُ فـينا
كلَّ يومٍ، كـأنَّنـا قُـطعـانُ!

*****

أنتِ يا من تسـافـرين بقلبي
وعلى راحـتـيكِ ينمـو الحنانُ
هل رأيتِ الطريقَ حين مـضى بي
في دروبٍ صـخـورُها كـثـبـانُ؟!
هل سـمـعتِ التـأريخ لمّا دعـانا
فـأبتْ أن تُجـيـبَـه الأوثانُ؟!

آهِ مما تـراه عـينُ مـــــــحـبٍّ
في زمـانٍ يعـزُّ فـيـه الجـبـانُ
أثقلتنا أوهامُنا فـــرضـــيناً
مـــا يقـــول المكابرُ الخَـــوَّانُ
شـــــــاب رأسُ الإبـاء، لما رآنـا
نـرتضي مـــا يقـــوله الرُّهبـــانُ

*****

أيُّهـــا الهـــاربُ الذي يتـــجلىَّ
كلَّ يومٍ في فـــعله الطُّغـــيـــانُ
أيهـــا الهـــارب المخـــبِّئ وجـــهـــاً
أين تنوي المسـيـــرَ يا حـيـــرانُ؟!
أَوَكلُّ الجـهـــات في الكون غـــربٌ
أَوَكلُّ الهـــــواتف الغـــــربانُ؟!
لو تدوم الحـيـاة، مـا مـات كـسـرى
وتهـــــاوى مـن بعـــــده الإيـوانُ
هل درى البـدر وهو يبـغي كـمـالاً
أنَّ عُـقـبى كـمـالـه النُّقـصـانُ؟!

قال لي صاحبي: وجدتُ كتاباً
قلت: لا يخدعنَّك العنوانُ
قال: عنوانه الكبير «سلامٌ
عالميٌّ» قلت: انجلى البُرْهانُ!
إنما هذه أكاذيبُ عصرٍ
يتلهَّى بأمره الشيطانُ
أُمتي فيه كالسجينة تشكو
وتعاني مما جنى السجَّانُ
فوقها صخرةٌ من الوهم كبرى
وعليها من لهوها قُضبانُ
يضحك القومُ بالسلام عليها
ودليلي ما تَشْهد «البلقانُ»
مسلماتٌ محصَّناتٌ ضحايا
أَلبَستْهُنَّ عارَها الصلبانُ
ثملت أُمَتي من الكأس، قل لي
بعد هذا، أَيَعْقلُ السّكْرانُ؟!
كيف ترجو الخلاصَ مما تعاني
وقد اختلَّ عندها الميزانُ؟!

أيُّهـا الحـاكـمـون، هل من جـوابٍ
صـادقٍ حينَ يسـأل الـرحَّـمنُ؟!!
إنمـا هـذه أمـــــــانـةُ ديـنٍ
شـأنُهـا فيً الحـيـاة لا يُسـتـهـانُ
خـشـيتٌ حـملَهـا الجبـالُ الرواسي
وتَصَـدَّى لحـــملهـا الإنســانُ
أين أنـتم، أَمَـــا لـديكم قلـوبٌ؟
أيـن أنـتم، أمـــــالـكم آذانُ؟!
هـانَ مـليـــارُنـا، وعـــزَّ قطيـعٌ
من يهـود، فكيف طاب الهـوانُ؟!
إنّ غـدا همُّنا طعـامـاً وشـراباً
فـعلينا يُفَـضَّل الحـيـوانُ

*****

أنتِ يا من تُضَـمِّـدين جـراحي
وبعـــينيك يسكن اطمـــئْنانُ
لا تقـولي: مَنْ أنَتَ؟ إني مـحبٌّ
طَرْفُـــه طولَ ليله ســـهـــرانُ

مـــسلمٌ أحـــملُ الهـــمـــومَ، ولكنْ
في فـــؤادي من الرِّضـــا بســـتـــانُ
وطني أينمـــــا تَوَجَّـــهْتُ، ديني
ونـــدائـــي أنَّـــى حَـــلَـــلْـــتُ، الأذانُ
زورقي في مـحـيط دهري يقـيني
بـإلـهـي، وزاديَ الـقـــــــــــرآنُ
كَـــثُـــر الزَّيْفُ في زمـــاني، ولكن
لا يُبـــــالي مَنْ دِرْعُـــــه الإيمانُ

*****

سراييفو تقول لكم

صرخة ألم من بلاد البوشناق «البوسنة والهرسك»

نناديكم وقد كَثُرَ النَّحيبُ
نناديكم، ولكنْ مَنْ يُجيبُ؟
تعثَّرت الخُطا، حتى رأينا
خطانا لا تَهَشُّ لها الدروبُ
نناديكم وآهات الثَّكالى
تحدثكم بما اقترف الصَّليبُ
«سراييفو» تقول لكم: ثيابي
ممزَّقةٌ، وجدراني ثقوبُ
محاريبي تئنُّ، وقد تهاوى
على أركانها القصف الرهَيبُ
وأوردتي تُقطَّع، لا لأني
جنيتُ، ولا لأني لا أتوبُ
ولكني رفعت شعار دينٍ
يضيق بصدق مبدئه الكَذوبُ

الرياض ـ الازدهار - ١١/ ١١/ ١٤١٢هـ .

لأنـي لا أجـــامل أو أحـــابـي
ولا أرضى الخـــضـــوع ولا أذوبُ
لهـــذا مـــزّق الأعـــداءُ ثوبي
وبين يديَّ أُشـــعلت الحـــروبُ
لكم يا إخـــوتي أكلٌ وشـــربٌ
وأكـسـيـةٌ لهـا نسجٌ عـجـيبُ
لكم دار مـــشـَّـــيـــدة، وظلٌّ
يظللكم به غـــصنٌ رطيبُ
لدى أطفـــالكم لُعَبٌ وحلوى
وعند نســـائكم ذهبٌ وطيبُ
ومـــا ـ والله ـ نحْـسُـدكم، ولكنْ
نقـــول أَمَـــا لإخـــوتكم نصـــيبُ
نذيرُ الحـــرب في أرضي نذيرٌ
لكم فـــالليلُ مَنشَـــؤُه الغُـــروبُ
وجَدْبُ الأرض يسبقه احتباسٌ
وعصفُ الريح يسبقه الهبوبُ
لنا في أرضنا نهـــرٌ ومـــاءٌ
وروضٌ في مـــرابعنا خـــصـــيبُ

لـنـا بـيـتٌ وأطـفـــــالٌ ولـكـنْ
مـــــحتْ آثار منـزلنـا الخطوبُ
بنات المسلمين هنا ســـبـــايا
وشـــمس المكرمـــات هنا تغـيبُ
تَبِـيتُ كـريمةً ليلى، وتصـحـو
وقـد ألغَى كـرامـتـهـا الغـريبُ!
تُخـبِّئُ وجـهـهـا! يا ليت شـعـري
بماذا ينطق الوجـــه الكئـيبُ؟!
يموت الطفل في أحـــضـــان أمٍّ
تهـــدهده، وقـــد جفَّ الحليبُ
بكتْ حُـــزْناً عليـــه بغـيـــر دمعٍ
وأين الدَّمع، والظَّمـأُ النَّصـيبُ؟!
وكَمْ يَرْعى خـــلايا الجـــسم داءٌ
فَـيُـهْلكُه، وقـد عـزَّ الطبـيبُ
سلِ الفـجْـرَ الذي لم يَبْـدُ فـينا
لمـاذا لا يُـغـنـي الـعـنـدلـيـبُ؟
بني الإســلام، هذي حـربُ كـفـرٍ
لهـــا في كل ناحـــيـــةٍ لهـــيبُ

يحـركـهـا اليـهـود مـع النَّصـارى

فـقـولوا لي: مـتى يصـحـو اللبـيبُ؟

أراكـم تـنـظـرون، وأيُّ جَـــــدْوَى

لـنـظـرتـكـم إذا غَـــــفَت القـلـوبُ؟

ســـتطـحـنكم مـــؤامـــرةُ الأعـــادي

إذا لـــم يـفـطـن الـــرجـلُ الأريـــبُ

*****

أجنحة الحروف

خـيـالاتي وأجنحـة الحـروفِ
تحلِّق بي على تلك الصـفُـوفِ
وتفـتح ألف نافـذة أمـامي
تُريني حكمـة الرأي الحـصـيفِ
أرى بعض الشـواهد في طريقي
وبعض الواقـفين على الرَّصـيفِ
وتتـبـعني العـواصفُ حين أمـضي
كـمـا اتّبع القـويُّ خُطا الضـعـيفِ
تعـبتُ من التـرقُّب والتـحـري
لما يـأتـي، وأرهـقـني وقـوفـي
فـأمـضي واجـمـاً، ودمـوع شـعـري
تبلّلني، وقـد غـرقتْ حـروفي
أرى في جَـفْن أُمّـتنا قُـروحـاً
وفي وُجـدانهـا أَثَرَ النَّزيفِ
فـأحـملهـا على كفِّ اصطبـاري
وأدعـوهـا إلى الدِّين الحنـيفِ

الرياض - الازدهار - ٢٥/ ٥/ ١٤١٢هـ .

أسيرُ فلا خُطايَ ترى نكوصًا
ولا عينُ الطريق تَرى عُزوفي
أرى أغصانَ أحلامي طوالاً
تُظلِّلُني فأَسْعَدُ بالحفيفِ
وأجفانُ المَدَى ترنو بشوقٍ
إلى خطوي فأطْربُ للرّفيفِ
وأُبْصر في رُبَى الأفغان جيشاً
تمرَّس في مواجهة الحُتُوفِ
شباباً شدَّ أحزمة المنايا
وحَطَّم قوَّة الجيش المخيفِ
له مِنْ حُسْنِ نّيته ربيعٌ
يقينيٌّ حَماه من الخريفِ
شباباً شمسُ هِمَّتهِ استقرت
فما تَخشى مواجهةَ الكُسُوف
وفي السودان أُبْصر نورَ فجرٍ
أزاحَ معالمَ الليل العنيفِ
وفي الأقصى أرى عَزَمات طفلٍ
أعاد النورَ للبَصَرِ الكفيفِ

ينام وقد تلا آياً وذكراً

وأمتنا تنام على الدفوفِ!

بنى قصر الشموخ، ونحن قومٌ

نعيش على التذلُّل للحليفِ

تعلِّمنا الموائد كيف نغفو

وننسى مَنْ يَتُوقُ إلى رغيفِ

نواجه ما يُحاك لنا بصمتٍ

وإطراقٍ وتقليب الكفوفِ

تعلَّمْنا، ولكنّا ظلَلْنا

كَسُكّان المغاور والكهوفِ!

وفَرْقٌ بين علْمٍ في عقولٍ

وأفئدةٍ، وعلْمٍ في الرفوفِ!

أقول لأمتي وحروف شعْري

تَزُفُّ عَرائس المعنى الشريفِ

أمَنْ يُمسي على دفٍّ و(طارٍ)

كمنْ يُمْسي على قرع السيوفِ؟!

*****

عندما يئنُّ العفاف

«صرخة مسلمة من بلاد البوسنة والهرسك»

أطرقُتُ حـــــتى ملَّني الإطراقُ
وبكيتُ حـــتى ذابت الأحـــداقُ
سامرتُ نجم الليل حتى غاب عن
عـــيني، وهدَّ عـــزيمتي الإرهاقُ
يأتي الظلام وتنجلي أطرافـــه
عنا، ومـــا للنوم فـــيـــه مـــذاقُ
سـهـرٌ يُؤرّقني فـفي قلبي الأسى
يَغلي، وفي أهدابي الحُـــــرَّاقُ
ســـيّـــان عندي ليلنا ونهـــارنا
فـالموج في بحـريهـمـا صـفَّـاقُ
قـــتلٌ وتشـــريدٌ وهتكُ مـــحـــارمٍ
فـــينا، وكـــأس الحـــادثات دِهَاقُ
أنا قـصـةٌ صـاغ الأنين حـروفَـهـا
ولهـــا من الألم الدَّفين ســـيـــاقُ

الباحة - عراء - ١٩/ ٢/ ١٤١٣هـ .

أنا أيها الأحباب مُسلّمةٌ لها
قلبٌ إلى شرع الهدى تَوَّاقُ
دفن الشيوعيون نَبْعَ كرامتي
دهراً، وطارت حولي الأطباقُ
حتى إذا انكشف الغطاء وغرَّدت
آمالنا، وبدا لنا الإشراقُ
وقف الصليبُ على الطريق فلا تَسَلْ
عما جناه القتلُ والإحراقُ
وحشيَّةٌ يقف الخيالُ أمامها
متضائلاً، وتَمَجُّها الأذواقُ
أطفالنا ناموا على أحلامهم
وعلى لهيب القاذفات أفاقوا!
يبكون، كَلاَّ، بل بكت أعماقهم
ولقد تجود بِدَمْعها الأعماقُ
أطفالنا بيعوا، وأوربا التي
تَشْري، ففيها راجت الأسواقُ
أين النظام العالمي أَمَا له
أثرٌ، ألم تنعق به الأبواقُ؟

أين الســـلام العـــالمي لقـــد بدا
كـــذبُ الســـلام وزاغت الأحـــداقُ
يا مـــجلس الخـــوف الذي في ظله
كُـــسِـــرَ الأمـــان، وضُـــيِّع الميـــثـــاقُ
أومـــا يحـــرّكك الذي يجـــري لنا؟
أوَ مـــا يثـــيـــرك جـــرحنا الدّفـــاقُ؟!
يُعْـفَى عن الصِّـــربِ الذين تجـبّـروا
وطغَـــوا، ويُفْـــرَدُ بالعـــقـــاب عِـــراقُ
هـذا وربك شَـــرٌّ مـــا ســـمـــعتْ به
أُذُنٌ، ومـــا كُـــتِـــبتْ به الأوراقُ
ســرج العـدالة مـالَ فوق حـصـانهـا
ولـوى الـعـنـان إلـى الـوراء نِفـــــاقُ
كُـشِفَ الســتـار وبان كلُّ مُـخَـبّـأٍ
فـــإلى مـــتى تتطامن الأعناقُ؟
أنا أيّهـا الأحـبـاب مـسلمـة طَوَى
أحـــلامـــهـــا الأوباشُ والفـــسّـــاقُ
أخـذوا صـغـيـري وهو يـرفع صـوته
«أمِّي»! وفـي نـظـراته إشـــفـــاقُ

ولدي؛ ويصفعني الدّعيُّ ويكتوي
قلبي، ويُحكم بابي الإغلاقُ
ولدي؛ وتَبْلُغني بقايا صرخةٍ
مخنوقةٍ، ويقهقه الأفَّاقُ
ويَجُرُّني وغدٌ إلى سردابه
قَسْراً، وتُظْلِم حوليَ الآفاقُ
ويئنُّ في صدري العفافُ، ويشتكي
طُهْري، وتُغْمِض جَفْنَها الأخلاقُ!
أنا لا أريد طعامكم وشرابكم
فدمي هنا يا مسلمون يراقُ
عرضي يدنَّس، أين شيمتكم أمَا
فيكم أبيٌّ قلبه خفَّاقُ؟!
أختاه، أمتنا التي تدعونها
صارت على درب الخضوع تُساقُ
أودت بها قوميةٌ مشؤومةٌ
وسرى بها نحو الضياع رفاقُ
إن كنتِ تنتظرينها فسينتهي
نفقٌ، وتأتي بعده أنفاقُ!

مَــدّي إلى الـرحــمن كفَّ تضــرُّعٍ
فلســوف يرفع شــأنك الخــلاَّقُ
لا تيــأسي، فــأمــامَ قــدرة ربِّنا
تتــضــاءل الأنســابُ والأعــراقُ

*****

صرخةُ طفلٍ صومالي

كـــتب الظلامُ جـــوابه وســـؤالي
والجـرح صـاغ مـقـاله ومـقـالي
وتحـــدّثت حـســـرات قلبي بالذي
أخـفـيـتُـه من حـسـرة الصـومـالِ
ووقـــفتُ عند جـدار ليلٍ حـالك
مـــازال مَـــبْنِيَّـــاً على آمـــالي
وجَّـهْتُ طرفي كلَّ ناحـيـة فـمـا
أبصـــرتُ حـــدّا للجـــدار العـــالي
أنا، مَنْ أنا، فـي هـذه الأرض التـي
تشـــقى بســـوء تعـــامل الأنذالِ؟!
أنا، مَنْ أنا، فـي عـــالمٍ مـــتـوحِّش
يُفْنـي الألوفَ لأجل حـــفنة مـــالِ؟
أنا، مَنْ أنا، قـل لـي بـربك يـا أبـي
إني أرى مـــا ضـــاق عنه خـيـــالي؟
لِمَ يقـتلون أمـــام عـيني إخـوتي؟
لِمَ يحـرقـــون مـــلابس الأطفـــال؟

الباحة - عراء - ١٨/ ٢/ ١٤١٣هـ .

كم غـارةٍ شـعـواءَ، قـال رصـاصُـهـا
مـــــالـم تـقـلـه نـواطـقُ الأهـوالِ
ظلَّت تـلاحـــقـنـا الشـظايا أينـمـــا
ســـرنـا، وتَتْـــبـــعُنا إلـى الأدغـــالِ
يتـحـدَّث القـصـف الـرهيب بلهـجـةٍ
مـســروقـــةٍ من لهـــجـــة الزّلـزالِ
يُدلـي لنا الـرشَّـاشُ فـيـهـا بالرَّدى
ويَصيح فـينا صـيـحـة اسـتئْصـالِ
أين المـفـــــرُّ؟، وكلُّ بـاب لم يـزل
يشكو إلينا قـســوة الأقـــفـــالِ؟
أين المـفـــــرُّ؟ وكـلُّ رشـــــاش له
ثغـــرٌ، يبـــوح بســـرِّه القـــتَّـــالِ؟
أين المفـرُّ؟، وهيـئـة الأمم ارتمت
مبهورةً، في حضن «بُطْرُسَ غالي»؟
صلبوا على جسر الخيانة فرحتي
ورمـــوا أمـــامي صـــخـــرة الإذلالِ
قـــالـوا عن النوم اللذيذ حكايةً
مـازال يجـهل وصـفـهـا أمـثـالي

أبتــاه، هل في الأرض قلبٌ خــافقٌ
أهناك قــومٌ يشــعــرون بحــالي
أهناك قــومٌ يســمــعــون نداءنا
ويروننا في قــبــضــة الأغــلالِ
أهناك آباءٌ يرون صــــغــــارهم
أغلــى مــن الأرواح والأمــــــوالِ
إني لأعــجب حين أبصــر مــسلماً
يســتــقــبل الأحداث كــالتــمــثــالِ
رَخُصَت دماء المسلمين، فهل مضى
زمــن الإباءِ، ومــــــوقف الأبطــالِ
أبتــاه، يملكني شــعــورٌ يائسٌ
أنْ أَسْــتــقــرَّ، وأن يهلَّ هلالي
مــا دام قــومي يفــتــحــون قلوبهم
للمــعــتــدين، ويغلقــون مــجــالي؟
كَــثُــر الكلام عن الإباءِ، ولم تَزَلْ
أقــوالنا تشــتــاقُ للأفــعــالِ
مــا استــقبلتْ أذناي صــوتَ إذاعــة
إلا ذكــــرتُ حكايةَ الــدجَّــــالِ!

مـــازلتُ أُشْـــعلُ نـار أســئلتي، ولـم
أَفـــرح بقـــومٍ يفـــهـــمـــون ســـؤالي
مـــا بال أمـــتنا تُســـاق إلى الرَّدى
وتظلُّ تُعلن مـــبـــدأ الإهـمـــالِ
وتظل تبني في فـضـاء خـيـالهـا
قـصـراً من الأحـلام فـوق رمـالِ
مـازال يصـفـعـهـا العـدوُّ ولم تزل
ترنـو إليـــــه بمقـلـةِ الإجـــــلالِ
صنفـــان أمـــتنا، فـصنفٌ جـائعٌ
يبكي، وصنفٌ مـتـخمٌ مـتـعـالي

*****

يا إخـوة الإسـلام ســافـر حـزننا
فـــيـنـا، وأوغل أيَّمـــا إيـغـــالِ
أطعـمتمـونا القـولَ في زمن الأسى
أنسـدُّ جَـوْعَـتَنا من الأقـوالِ؟!
إنـي أقـــول لكم وَفي أعـــمـــاقنا
لهب الجـراح، وحـسـرة الأجـيـالِ

مكيـــال أعـــدائي وَفَى، وأنا الذي
لم يرحل التَّطفـيفُ عن مكيـالي
مـــا هذه حـــرب القـبـــائل بيننا
بل خُطَّةُ الأعـداءِ لا ستـئـصـالي

*****

تنوّعت الجراحُ

تقــول أسىً، فــقلت لهــا حــريقُ
بشـــدة ناره صـــدري يضـــيقُ
تسـافـر بي الجـراح، فليت شـعـري
مــتى يحنو على قــدمي الطريقُ؟
أخـــوض بزورقي بحـــر المآسي
ودون مــقــاصــدي بُعْــدٌ سـحـيقُ
يخــادعني العــدوُّ فــمــا أبالي
وأبكي حين يخــدعني الصــديقُ!
أقــول لمن يُعــرقل ســيــر شــعــري
ويحـــســـبني لمنحـــتـــه أتوقُ
أَرِحْ يا صــاحــبي عــقــلاً وقلبــاً
فـــحـــبل الدين في قلبي وثيقُ
ولا يَغُــرُرْك مظهــر من يحــابي
وفـــــوق لســـــانه لفظٌ أنيقُ
فـــبـــعض المدح للإنســـان ذَمٌّ
وبعض البــرِّ في الدنيــا يعــوقُ

الرياض - ٢٩/ ١٠/ ١٤١٢هـ .

ترى الحشرات بالأزهار تلهو
وما يغري سوى النحل الرَّحيقُ
وشأن الناس في الطبع اختلافٌ
هنالك ظالمٌ وهنا شفيقُ
فريقٌ لا يجامل أو يحابي
ويغرق في تزلُّفه فريقُ
يحبُّ الماءَ ذو ظمأٍ ليروى
ويكره لجَّةَ الماءِ الغريقُ
إذا مات الفؤاد فلا تسلني
عن الدم حين تفقده العروقُ
جذوع النخل أشباحٌ طِوالٌ
إذا لم تزدهي فيها العذوقُ
لماذا حين أعلن قول صدقٍ
أرى بعض الصدور به تضيقُ
أحبُّ بلادنا حبّاً عظيماً
له في خاطري نَسَبٌ عريقُ
ولكني أعاتبها إذا ما
رأت عيني أموراً لا تليقُ

وقـد يَشـفي غليظُ القـول داءًا
إذا لم يَشـفـه القـولُ الرَّقـيقُ
أرى أثر الغـيـوم ولا رعـودٌ
تحـدِّثني ولا وَمَـضت بروقُ
وأسـمع ألف أغنيـة نشـازٍ
فـيُـزعـجني التكسُّـرُ والنعـيقُ
عـبـرتُ مـحـيط آلامي فلمـا
تجـاوزتُ المحـيطَ بدا المضـيقُ
وكـيف أريد مَلْءَ الكأس مـاءً
إذا كـانت يدي الأخـرى تُريقُ؟!
ألا يا مـاكـراً بالناس مـهـلاً
فـمكر الماكـرين بهم يحـيقُ
سـألتكَ والسـؤال له جـوابٌ
أَيُجْـمَع حين يَنْتـثِـر الدَّقـيقُ؟!
رأيت عـيـون قـومي في زمـاني
يظلِّلهـا عن الحقِّ البـريقُ
أراهم يُنْصـتـون إلى كَـذُوبٍ
ويزعـجـهم إذا نطق الصَّـدوقُ

سـألت عن الصـمـود رجـال قـومي
فـــخـــاطبنـي من الإعـــلام بوقُ
لقـد مـات الصـمـود مع التصـدي
فـــمـــا هذا التنكُّرُ والعـــقـــوقُ
أتنسـى أن (إســـــرائيـل) أُختٌ
لهـا في المسـجـد الأقصـى حقـوقُ؟
كـــأنَّ رجـــال أمـــتنا قـطيعٌ
وإســـرائيل في صَلَفٍ تَسُـــوقُ
تنوَّعت الجـــراح فـــلا اصطبـــارٌ
يواجـــهـــهـــا ولا قلبٌ يطيقُ
إذا كنَّـا شـكونـا من جـــــراحٍ
لهـــا في القـــدس تاريخٌ عـــريقُ
فـيـوغـسـلافـيـا جـرحٌ جـديدٌ
تَغَصُّ عـلـى تَذَكُّـــــره الحُلوقُ
هنالك للصليب رصـــاصُ غـــدرٍ
ووجـــهٌ في تعـــامله صـــفـــيقُ
هنـالك ألف بـاكـــيـــةٍ تُنادي
أفـيـقـوا يا أحـبـتنا أفـيـقـوا!

يُدنَّس عــرضُ مــسلمــةٍ وتُرْمَى
ويَلْطِم وجــهَــهــا وَغَــدٌ حليقُ
وتتــبــعــهــا مــلايينُ الضــحــايا
تـذوق مـن المـآسـي مـــــا تـذوقُ
وكم من مــسـجـدٍ أضـحى ركـامـاً
وفي مــحــــرابه شبَّ الحــــريقُ
تعــــذِّبني نداءاتُ اليــتــــامى
وصــانع يُتْــمــهم حــرٌّ طليقُ!
وأمــــتنا تنام على ســــريرٍ
تهــدهدها المفــاتنُ والفــسـوقُ
كــتــاب الله يدعــوها، ولكنْ
أراها لا تُحِسُّ ولا تُفــــيــقُ
أقــــول لأمــــتي والليلُ داجٍ
بكفّكِ لو تأمَّلتِ الشُّــــرُوقُ

*****

قطرةُ مسكٍ من دم شهيد

«أبو الزبير وأبو العباس إضاءتان جديدتان في ظلام هذا العصر .. مجاهدان من المدينة المنورة استشهدا في «سراييفو» أسأل الله أن يقبلهما في الشهداء ..

القصيدة خطاب لأبي الزبير .. وهي خطاب أيضاً لأبي العباس .. فكلّنا هذا وذاك ...».

قل مـا تشـاء عن الفـؤاد المتـعبِ
فـالشـمس عن أحـلامنا لم تَغْـرُبِ
ها أنت تحـملني بأجنحـة الهـدى
عَبْر الفضاء إلى السماء تطير بي
ها أنت تحـملني وتُنعش فـرحـتي
بعـد الذبول وبعـد دهرٍ مـجـدبِ
عفواً ـ أخي في الله ـ عين قصيدتي
ترنو إليك، وحَـرْفُـهـا لم يُكْتبِ
أنا مـا رأيتك في خيـال قصـيدتي
لكنني أبصـرتُ وجـه الكوكبِ

الرياض - الازدهار - ١٠/ ٥/ ١٤١٣هـ .

أنا مـا سـمـعـتك منشِـداً، لكنني
أصـغـيتُ لـلأمل الجـمـيل المطربِ
فَرَحي كبيرٌ - يا أخي - بجهادكم
لكنَّ حـزني لم يزل كـالغـيـهبِ
إني غـضـبتُ لأمـتي لما رَمَتْ
بزمـامـهـا للظالم المتـصلِّب
وغـضـبتُ للإسـلام من أعـدائه
ممن يُشـاغلنا بمنطق ثعلبِ
وغـضـبتُ لـلإسـلام من أبنائه
ممن يعـيش بطبـعـه المتـقلِّبِ
طوراً يميل إلى اليـمين، وتارةً
نحـو اليسـار كـتائهٍ في سَبْسَبِ
أرأيتَ ذا عـقلٍ يتـوق فـؤادهُ
- وهو السليم - إلى عناق الأجربِ؟!
وغضبتُ للأقصى يُباع ويُشْتَرى
لا خـيـر في قلبي إذا لم يغـضبِ
وغضبتُ للبلقان يُهتك عرضُها
أمـسـتْ بلا أمٍّ تحـنُّ ولا أبِ!

وغـضـبتُ من مكر العـدوِّ وكـيـدِه
من وجــه أوروبا القــبـيحِ المرعبِ
يا وجـــه أوروبا رأيتك كـــالحـــاً
وكـذاك يبـدو وجـه كلِّ مـخـرِّبِ
أنا مـا رأيت ـ وكم رأيتُ رجالكم ـ
إلا رُؤى نابٍ وصـــورةَ مِـــخْلبِ
كم ناطقٍ باسم السـيـاسـة قـد بدا
متـأنقـاً يُخْـفِي طبيـعـة عـقـربِ!
أأبا الزبيـــر! عـــدونا مـــتكالبٌ
يُرْضي ســذاجــتنا بوعــدٍ خُلَّبِ
أأبا الزبيــر! فـديتُـهـا من كنيـة
نقلت إليَّ رؤى الزمــان المخـصـبِ
ها أنت تحـــملني إليك وأمـــتي
مـــشـــغـــولة بتناحـــرٍ وتذبذُبِ
لو أنَّ أمـــتنا أقـــامت دينهـــا
وتعلَّقتْ بكتـــابهـــا، لم تُغلبِ
لكنهـــا ركـــبت طواحين الهـــوى
فـــاثّاقلت لـلأرض بعـــد توثُّبِ

يا ويحـــهـــا من أمَّـــةٍ منكوبةٍ
لولا الجنوح عن الهـدى لم تُنْكبِ
أأبا الزبيـر لقـد رأيتُ قـصـائدي
تشـقى بآهات الفـؤاد المتـعبِ
ورأيتُ في ســاحــات قلبي زهـرةً
ذَبُلتْ، وخـيـمـةَ فـرحـةٍ لم تُنْصَبِ
لكنني أبصـــرت عـــزّةَ أمـــتي
لما رأيتُكَ ثابتـــاً لم تهـــربِ
قـال المحـدِّث عنك إنك فـارسٌ
لم تندحـرْ يومـاً ولم تتـهـيَّبِ
عـينا سـراييـفـو إليك تشـوَّفتْ
والشـوق في وجـدانهـا لم يكذبِ
نصـبتْ خـيـامَ ترقُّب، حـتى إذا
وافيـتَـها مـتـخـفـيـاً من زِغْـربِ
ألقتْ إليك بخُـصلة من شـعـرها
ورنتْ إليـك بمقلـة المتـــأهِّبِ
ضـمَّـتْكَ بين جـوانح مـجـروحـةٍ
وحَنَتْ عليكَ بصدرها المُعْشَوْشِبِ

أأبا الزبيرا قصيدتي مسكونةٌ
بالحب في زمن الشعور المجدبِ
لما قدمتُ إلى المدينة سرّني
إقدامُ حنظلةٍ وهمّةُ مصعبِ
ورأيت جند الله، هذا راكبٌ
خيلاً، وهذا راجلٌ لم يركبِ
وسمعتُ تكبير الرجال فلا تسلْ
عن رهبة الباغي وخوف المذنبِ
كان الخيال يطوف بي فيما مضى
والعين في هذا الزمان تطوف بي
فتَّشْتُ عنك فأقسمتْ لي نخلةٌ
أن النسيم أتى بريحٍ طيِّبِ
وسألت عنك فما وجدتُ سوى أب
يدعو، وأمٍّ دمعها لم ينضُبِ
لله أمُّك! كم طوت أيامَها
مشغولةً بتوجُّسٍ وترقُّبِ
تخشى وترجو فهي بين رجائها
والخوف، تُرْسِل دمعها كالصيِّبِ

حتى إذا جاء البشير تحدثتْ

روح الأمومة بالحديث المسْهَبِ

ورأيتُ في عينَيْ صغيرك دمعةً

ممزوجةً بعزيمة المتوثِّبِ

ناديتهُ «بابن الشهيد» فديتُه

لقباً يشرِّف قدرَ كلِّ ملقَّبِ

أأبا الزبير! رأيتُ قلبك قد هفا

نحو الخلود إلى الجوار الأطيبِ

وخرجتَ من سجن الحياة وبؤسها

متوجِّهاً صوبَ المقام الأرحبِ

هذي المدينة ما تزال دموعها

حَيْرى فلم تجمدْ ولم تتصبَّبِ

قالوا لنا: إن الثرى لما رأى

إشراقَ وجهك مدَّ كفَّ مرحِّبِ

وتضوّعتْ مِسْكاً رحابُ بطولةٍ

شهدتْك مقداماً عزيز المركبِ

قالوا: الشهادةُ، قلت: نيلُ شهادةٍ

وبلوغها في الله أعظم مطلبِ

أكْـرِمْ به مـوتاً يلاقـيـه الفـتى
بالذكـر يلهجُ، والصـلاة على النبي
وإذا تـعـلَّقـت الـقـلـوبُ بربِّـهـا
فلسـوف يغـدو الموتُ أعظم مـوكبِ

*****

أحمد ياسين

«تحية إكبار إلى المجاهد الذي سمت به نفخةُ الروح عن قبضة الطين، إلى المجاهد الفلسطيني «أحمد ياسين»

إيهِ يا عسقلانُ، لانَ الحديدُ
وأخو الحقِّ ثابتٌ لا يحيدُ
إيه يا عسقلانُ، أحمدُ قلبٌ
صابرٌ صامدٌ، ورأيٌ سديدُ
سمعت صوتَه القيودُ يناجي
ربَّه، فانثنت إليه القيودُ
وبكى السجن حين أصغى إليه
وهو يتلو، والواهمون رقودُ
أيُّها الشيخ، ما لعينك تَهْمِي؟
ولماذا يطولُ منك الشرودُ؟!
جالسٌ أنتَ، والطُّغاةُ وقوفٌ
وحواليك قد أقيم الجنودُ
أنا يا شيخُ ما رأيتُك إلا
في صلاةٍ يطول فيها السجودُ

الرياض - الازدهار - ٢٤/ ٥/ ١٤١٣هـ .

أنا يا شـــيخُ مـــا رأيتُك إلا
داعـيـاً، من دعـائه يسـتـزيدُ
كلُّهم خـــائفـــون منك، لماذا
أيخاف القعيدَ جيشٌ عتيدُ؟!!
قال لي الشيخ، وهو يرسل نحوي
نظرةً، وقـعُـهـا عليَّ شـديدُ:
أيهـــا الســـائل الملِحُّ، لأني
لائذٌ بالذي إليـــه نعـــودُ
خـافني المعـتـدي، وإلا فـإني
أيهـا الســائل المُلِحُّ قـعـيـدُ
يا ابن ياسين، أين رجـلاك؟ مهـلاً
فـثـبـاتي على الجـهـادِ أكـيـدُ
في دمي فَـوْرةُ الغـيـور، وقلبي
مـشـرقٌ بالهـدى، وعـزمي حـديدُ
ثَقُلت همـتي على الجسم، حـتى
آده حـمـلهـا، فلم يقـوَ عـودُ
شُلَّ جـسـمي، وإنما الجسم طينٌ
سوف يسطو عليه في القبر دودُ

أيُّ نفع للجسم، والقلبُ خاوٍ؟
أيُّ نفع للجسم، وهو بليدُ؟!
كم نرى بيننا جسوماً عظاماً
نفَّذتْ ما يراد، لا ما تريدُ
شَلَلِي لم يُصِبْ من الروح شيئاً
وبروحي أطيرُ حيث أريدُ
أنا يا سائلي تجاوزتُ نفسي
وتجاوزتُ ما تَحُدُّ الحدودُ
يَخْرُجُ الحزْمُ من عباءة صمتي
وإليها إذا أردتُ يعودُ
قلت للجسم حين أُقْعِد، مهلاً
فأنا لن ينال عزمي القعودُ
أنا قلبي معلَّقٌ بإلهي
فمدى ما يريد قلبي بعيدُ
قبضة الطين لن تكبِّل روحي
فالفضاءات مسرحي والوجودُ
حين أتلو القرآن يخصب قلبي
ويطيب التسبيح والتحميدُ

من عـــبـــوديَّتي لربي انطلاقي
أنا حـرٌّ بهـا، فـأين العـبـيـدُ؟!
لستُ عـبـداً يا سـائلي لفـلانٍ
وفـلانٍ مّـمن سـجـاياه سـودُ
أرفع الكفَّ للسـمـاءِ، وحـسـبي
أنَّ كـفّيَ بخَـيْـبـةٍ لا تعـودُ
خـالق الكون، مـالك الملك عـوني
فَلْيَنَلْني بكيـده مَنْ يكيـدُ
مُـقْـعَـدٌ ـ أيهـا الصـديق ـ ولكنْ
من قـعـودي هذا يخـاف اليـهـودُ
أَوْعَـدُوني، ولستُ أخشى وعـيـداً
بَشَـريـاً، فـعند ربي الوعـيـدُ
سـجنوني مـؤبَّداً، وهو وهمٌ
إنما في القـيـامـة التـأبيـدُ
آه يا شـيـخنا تُضـام وتُؤْذَى
وعلى مـا جـرى تُقـام الشـهـودُ
ثم تُنْسَى، ويُحْـتـفَى بسـلامٍ
سـاقنا نحـوه العـدوُّ اللَّدُودُ

يـا ابـن يـاسـين، كـم يمـزِّق قـلـبـي
ذلُّ قــومي ولهــوُهم والصــدودُ
لـو شـكـى كـلـبُ ســـائـح أجـنـبيٍّ
لـرأينـا مـــا يصنـع التـــهـــديدُ!
واليــتــامى من أمــتي والصــبــايا
حظُّهنَّ الإرهـابُ والـتـــشـــريدُ
أين من أمــتي عُـمـيـرٌ، وسـعـدٌ
والمثَّنى، وخـــالدٌ، وســعـــيـــدُ؟!
أين من قـادة الجـيـوشِ صـلاحٌ؟
أين من سـاسـة الـبـلاد الرشـيـدُ؟!
أين قـطـزٌ لمَّـا تهـــاوى تتـــارٌ
عند أقــدامــه، فــعــزَّت بنودُ؟!
يـا ابنَ يـاسـين، مـــا يـزال بـقـلـبـي
لـهـبٌ من جـــراحـــه ووقـــودُ
لم أزل أذكـــر الظـلام وئيـــداً
آهِ مما جـنـى الـظـلامُ الـوئيـــدُ!
ليلةٌ أظلمت وغـامتْ، فـسلني
كـيف كـانت بروقُـهـا والرعـودُ؟!

كيف سالت مدامع المجدِ فيها
وشكى فورةَ الدماءِ الوريدُ؟!
كنتَ في السجن تشرب الليلَ سُهْداً
وعلى الذلِّ تنطوي «مدريدُ»
كنتَ في سجدة التهجُّد تدعو
وصلاة المفاوضين الكُنودُ
أين «رِبْعيُّنا» المفاوضُ عنَّا؟!
أين منا المغيرة الصِّنديدُ؟!
أَنْذَرا رستُماً فلا البحر بحرٌ
عندما أنذرا، ولا البيد بيدُ
أين منَّا ـ يا شيخُ ـ دُهْمُ المطايا
ساقها العزمُ، والإباءُ يقودُ؟!
قال لي الشيخُ: لا تخفْ، فلدينا
أَمَلٌ في إلهنا معقودُ
لا تخفْ يا بنيَّ، كم من قلوبٍ
مظلماتٍ صفاؤها مفقودُ
كلُّ من فاوض العدوَّ سيبكي
حاله حين يضحك التَّهويدُ!

فـاوض المعـتـدي ضـحـاياه منّا
وعلى مـا جـرى رقـيبٌ عـتـيـدُ
ليلهم راكـدٌ وهم فـيـه عُـمْيٌ
ولنا فـجـرنا المشعُّ الجـديدُ
مـجـدهم صـورةٌ لوهمٍ كـبـيـرٍ
ولنا مـجـدنا العظيمُ التَّليـدُ
يا ابن ياسين، لا عـدمناك شهـماً
عن حـمى قـدسنا الشـريف تذودُ
عِشْ كـريماً، فـإن تمتْ فـرجـائي
أن تقـول الأمـجـادُ: هـذا الشـهـيـدُ!
قد يُسام التقيُّ في الأرض خسفاً
وعلى الله نَصْـرُه الموعـودُ

*****

صرخةٌ من المسجد البابري

«إلى المسلمين في كل مكان»

عَبثاً، دعوتُ وصحْتُ يا أحرارُ
عبثاً، لأنَّ قلوبكم أحجارُ
عبثاً، لأن عيونكم مَسْمُولةٌ
بالوهم، تُظْلِمُ عندها الأنوارُ
عبثاً، لأنَّ شؤونكم يا قومنا
في الغرب يُفْتل حبلُها وتُدارُ
ولأنكم خُشُبٌ مُسَنَّدةٌ، فما
تَدْرون ماذا يصنع المنشارُ!
ولأنَّ غاية ما تريد نفوسكم
ألاَّ يفارقَ عرشَه الدُّولارُ
أمّا سقوطُ «البابريِّ» فحالةٌ
مألوفةٌ تجري بها الأقدارُ
هذي شؤون الهند ليس لنا بها
شأنٌ، وما للمسلمين خيارُ

الرياض - الازدهار - ١٤/٦/١٤١٣هـ.

يا ويحكم يا مسلمون! مآذني
تهوي، وبيتُ مُؤَذِّني ينهارُ
ويئنُّ محرابي على أنقاضه
ويموت تحت ركامِيَ الأخيارُ
سكَتَ الأذانُ فما سمعتُ مؤذِّني
تزكو برَوْعة صوته الأسحارُ
ياويحكم يا مسلمونَ! قلوبكم
جمدتْ، فليستْ بالخطوب تُثارُ
أنكرتمُ الفعلَ الشنيع بقولكم
شكرًا لكم! لن ينفع الإنكارُ
شكراً على تنظيم مؤتمراتكم
وعلى القرار يصاغُ منه قرارُ!
وعلى تعاطُفِكم، فتلك مَزيَّةٌ
فيكم تُصَاغ لمدحها الأشعارُ
أمّا أنا فلقد رَوَيْتُ حكايتي
بشهادةٍ أدلتْ بها الآثارُ
أنا مسجدٌ لله مرَّ بساحتي
دهرٌ طويلٌ، وانطوت أعمارُ

كم زارني التـــاريخ زَوْرَةَ عـــاشقٍ
ولـكم تجـــــمَّع عـنـديَ الأبـرارُ
بـالأمس تمتلئ القلوبُ مـــهـــابةً
منِّي، وتَشْـــرح صـــدريَ الأذكـــارُ
ويُرَتَّل القـــرآنُ بين جـــوانحي
فـجـوانحي بهـدى الكتـابِ تُنارُ
وتُثـيـر إعـجـاب السـحـاب مـآذني
وتحـــيطني بحنانهـــا الأســـوارُ
كم جـاء مَنْ يأوي إليَّ فـضـمَّـه
صـــدري الحنونُ وزالت الأخطارُ
واليـوم تهـدمني مـعـاول غـادرٍ
ويُمـيـتُني رشَّـاشُـه المهـذارُ
واليـوم تطلبني العـيـون فـمـا ترى
إلا الرُّكـامَ يطيـر منه غُـبـارُ!
هجـموا عليَّ وفي القلوب ضـغـائنٌ
مـثل الكلاب أصـابهنَّ سُـعـارُ
أصـبحتُ مـوطئ من يمرُّ، ولم تكن
بـالأمس تبلـغ هـامـــتي الأنظارُ!

كم مسجدٍ غيري، أُبيحَ وَقَاره
ولكم أُبَيحَ من الشيوخ وقارُ
ولكَمْ مُطِرْنا بالرصاص لأننا
مُستضعَفون، ومالنا أنصارُ
قد أُهْدِرتْ منا الدماءُ، وإنما
يحمي الدِّماءَ الصارمُ البتَّارُ
يا ويحكم يا مسلمون! نساؤنا
يسألنَ عنكم والدموعُ غِزارُ!
هذي تُساق إلى سراديب الهوى
سَوْقًا، وتلك يقودها الجزَّارُ
لَوْ أنَّ سائحةً من الغرب اشتكتْ
في أرضكم لتحرَّك الإعصارُ
أما الصِّغار فلا تسلْ عن حالهم
مرضٌ وخوفٌ قاتلٌ وحصارُ
والجوع يصنع ما يشاء، فما لهم
زادٌ، ودمعُ عيونهم مدرارُ
يأتي الشتاءُ، فما يُصَدُّ بمنزلٍ
يُؤْوي، فكيف تصُدُّه الأطمارُ؟!

يا ويحكم يا مسلمون! حروفكم
زيفٌ تحاكُ بخيطه الأفكارُ
وعقولكم مسروقةٌ من حِرْزها
وخيولكم يَشْقَى بها المضمارُ
يا ويحكم! تنسون أنَّ الضعف في
وجه العدوِّ مذلَّةٌ وصَغَارُ
هذي هي (البلقانُ) يُحْرقُ ثوبُها
عمداً، ويَهْتِكُ عرضَها الأشرارُ
تبكي، وأنتم تشربون دُمُوعَها
وعن الحقائق زاغت الأبصارُ
هذا هو (الأقصى) يُهَوَّدُ جَهْرةً
وببؤسه تتحدَّث الأخبارُ
هذا هو (الصومالُ) يطحنه الأسى
وجموعكم يا مسلمون نِثارُ
ملياركم لا خير فيه كأنما
كُتِبَتْ وراء الواحد الأصفارُ
ما جرَّأَ الهندوسَ إلاَّ صمتُكم
ولَكَم يذِلُّ بصمته المغوارُ

إني أقــول وفي ركــامي جــمــرةٌ
منهــا ســتــعــصف بالجُنَاةِ النَّارُ:
خــابتْ ســيــاســةُ أمــةٍ، غــاياتهُــا
تحــقــيقُ مــا يَرْضَى به الكفَّــارُ!

*****

الفهرس

القصيدة	الصفحة
أوقد شموعك	٧
صبرًا دعاة الحق	٨
مساحةٌ للجرح بين عامين	١٣
عندما يتساءل المجد	٢١
وقفةٌ على أبواب مدريد	٢٨
حوارٌ أمام بوابة الهزيمة	٣٣
أنادي أمتي	٣٩
ولكنكم غائبون	٤٤
صرخةٌ من أحفاد صلاح الدين	٤٧
لا تحدِّثْ بما جرى	٥٣
الخطوط المبكية	٥٥
جزائر الخير	٥٨
عندما تشرق الشمس	٦٣
وقفةٌ أمام جامع الزيتونة	٦٩
لا تلعبْ بالنار	٧٥

القصيدة	الصفحة
بين الصحو والحلم	٧٨
لغة الحياة	٨٠
يا طفلُ	٨١
الوجه ... القفا	٨٣
حوارٌ مع وردة	٨٦
من القدس إلى سراييفو	٩٠
سراييفو تقول لكم	٩٩
أجنحة الحروف	١٠٣
عندما يئن العفاف	١٠٠٦
صرخةُ طفلٍ صومالي	١١١
تنوَّعت الجراح	١١٦
قطرة مسك من دم شهيد	١٢١
أحمد ياسين	١٢٨
صرخةٌ من المسجد البابري	١٣٥
الفهرس	١٤١

Printing & Packaging
Tel: (011) 265 1144